



جون شتاينبك

المهر الأحمر

رواية

ترجمة : سمير عزت نصار

دار النسر للنشر والتوزيع / عمان ـ الأردن

المهر الأحمر

جون شتاينبك (١٩٠٢ ـ ١٩٦٨) جائزة نوبل ١٩٦٢

ولد جون شتاينبك في ساليناس ، كاليفورنيا في ١٩٠٢ ، في بلدة تقع على بعد بضعة أميال من ساحل المحيط الهادي وقرب وادي ساليناس الخصيب ـ وهي منطقة ستكون خلفية كثير من قصصه ورواياته . وقد درس علم الأحياء البحرية في جامعة ستانفورد ، لكنه ترك الجامعة دون أن يتخرج منها ، وبعد أن قام بأعمال صغيرة ، بدأ يكتب . وقد فشلت محاولته الأولى في العمل كأديب وكاتب مستقل غير مرتبط بأية مجلة أو جريدة في نيويورك ، فعاد الى كاليفورنيا ، مواظباً على الكتابة في كوخ منعزل . وتعزز نجاحه بعدئذ بنشره أعمالاً تالية ناجحة : في معركة سجال ، فئران ورجال ، وخصوصاً : كروم الغضب ، وهي رواية رائعة ستبقى علامة بارزة في الثقافة الأمريكية النموذجية . وتتالت أعمال شتاينبك التي تدور أحداثها في كاليفورنيا بما في ذلك رواية : شارع معامل التعليب ، الحافلة الجامحة ، شرقي عدن ، حكم بين الرابع القصير . وتوفي في ١٩٦٨ بعد أن حاز على جائزة نوبل في ١٩٦٢ . وصرحت الأكاديمية السويدية في منحها له جائزة نوبل : " . . . لم يخطر بباله أن يكون كاتباً مريحاً ومسلياً لا يضايق القراء . وبدلاً من هذا اختار الموضوعات الجادة والشاجبة ، كالإضرابات المريرة في مزارع الفواكه والقطن في كاليفورنيا مثلاً . . . " واكتسبت طاقته الأدبية زخماً ، وتلت تحفته : فئران ورجال تلك القصص التي لا تجارى والتي جمعها معاً في كتاب واحد : الوادي الطويل ، ممهداً الطريق لعمله العظيم ، الحولية الملحمية : كروم الغضب .

جون شتاينبِك

المهر الأحمر

(طبعة ثانية منقحة)

رواية

ترجمة : سمير عزت نصّار

دار النسر للنشر والتوزيع ـ عمّان / الأردن
هاتف / فاكس ٦٥٩٤٦٠ ص ب ٩١٠٥٨٦ عمان ١١١٩١

* اسم المؤلف : جزن شتاينبك
* اسم الكتاب : المهر الأحمر
* الطبعة العربية الثانية : ١٩٩٦
* الناشر : دار النسر للنشر والتوزيع - الأردن / عمان
* هاتف / فاكس ٦٥٩٤٦٠ ص ب ٩١٠٥٨٦ عمان ١١١٩١
* التوزيع : دار النسر للنشر والتوزيع

THE RED PONY

By John Steinbeck

Bantam Books 1967
with THE LONG VALLEY

I

الهبة

عند طلوع النهار ، خرج بِلي بَكْ من مرقد العمال ووقف لحظةً في شرفة المدخل رافعاً نظره الى السماء . كان رجلاً عريض الكتفين مقوس الساقين ضئيلاً بشارب متهدل ، ويدين عريضتين منتفختين عضليتين عند الراحتين . كانت عيناه رماديتين متأملتين دامعتين كما كان الشعر الذي يندفع من تحت قبعته من نوع ستِتسون stetson ، شَكساً وقد لوحه الطقس . راح بِلي يدس قميصه في بنطاله الجينز الأزرق وهو واقف في شرفة المدخل . حل حزامه وأعاد إحكام تثبيته ثانية . أظهرت الأماكن اللامعة المهترئة عند كل ثقب من الحزام الزيادة التدريجية في وسط بِلي خلال سنين عديدة . حين تأكد من حالة الطقس ، نظف كلَ منخر من منخريه بأن أغلق أحدهما بسبابته ومخط بعنف . ثم مشى هابطاً نحو الحظيرة ، فاركاً يديه معاً . نظف حصانين مسرجين في مربطهما بالمِحَسة والفرشاة ، مخاطباً إياهما برقة طيلة الوقت ، ولم يكد ينهي عمله حتى انطلق مثلث الحديد مجلجلاً في بيت المزرعة . شبك بِلي الفرشاة والمِحَسّة معاً ووضعهما على الحاجز وذهب . كان عمله مترويأ وغير مضيع

لـلوقت ، فـوصل الى البـيت بينما كـانت السـيـدة تِفلِن لا تزال ترنّ المثلث . أومأت برأسـهـا الأشيب له وانسحبت الى داخل المطبخ . جـلـس بلي بَكْ على الدرجـات ، ولأنه عـامل أبقـار فلن يكون من المناسب أن يدخل الى غـرفـة الطعـام أولاً . ثم سـمع السـيد تِفلِن يدخل البيت ، خابطاً قدميه في فردتي جزمته .

حـثت نغـمـة جلجلة المثلث عـاليـة الصـوت الفـتى جودي على الحـركة . كان مجرد ولد صغير فقط ، في العاشرة من عمره ، بشعر كـعشب أصفر مغبر وبعينين رماديتين خجلتين مؤدبتين ، وفم يعمل كـثيراً حين يفكر . انـتـزعـه المثلث من النوم ، فلم يحدث أن عصى النغمةَ الخشنة أبداً . لم يعصها قط : ولم يعرف أن أحـداً عصاهـــا أبداً . أزاح الشـعـر المتشابك عن عينيه وخلـع رداء النـــوم عـــن جـسـمـه . بلحظة لبس - قميصاً أزرق شمبراي قطنياً رقيقاً ووزرته الـسروالـيـة . كـان الوقت أواخـر الصـيـف ، فلم يكن هناك حـذاء يضـايق به نفـسـه طبعاً . انتظر في المطبخ حتى انتقلت أمه من أمام حـوض غـسـيل الأطبـاق وعـادت الى الفـرن . غسل يديه حينذاك ودفع شعرَه المبلول بأصابعه الى الخلف . التـفـتت أمه بحدة إليه وهو يبـتعد عن حوض الغسيل . أشاح جودي بنظره خجلاً .

قـالت أمـه : " كـان يجب أن أقص شـعـرك منذ مدة طويلة . الفطور على المائدة . أدخل ، كما يمكن لـ بِلي أن يأتي " .

جـلس جـودي الى المائد الطويلة المغطاة بمـشـمع أبيض اهترأت بعض الأمـاكن فـيـه وظهـرت فـيـه خـيـوط نسيجه بفعل الغسيـــل المتكرر . وضع البـيض المقلي على شكل صفوف في طبقهم الكبير . أخـذ جـودي ثلاث بيـضـات ووضـعـهـا في طبقـه ثم وضع ثلاث شرائح غليظة من لحم الخنزير المقـرقش بعـد ذلك . قـشط بقعة دم عن أحد أمحاح البيض بعناية .

دخل بِلي بكْ الغـرفـة بخطى ثقيلة . أوضح بِلي : " لن تؤذيك هذه . تلك مجرد علامة يتركها الديك " .

دخل أبو جـودي الطويل الصـارم فعرف جودي من الضجة التي

أثارها على الأرضـيـة بأنه ينتـعل جزمة ، لكنه نظر الى أسفل الطاولة عـلى أيـة حـال ، لـيـتـأكـد من ذلك . أطفأ أبوه مـصـبـاح الزيت الموضـوع على الطاولة ، فـقد تسلل الكثير من نور الصباح الآن من النوافذ .

لم يـسأل جـودي أين سـيـذهب أبوه وبِلي بَكْ راكـبـيــن في ذلك اليـوم ، لكنه تمنى لو أمكنه أن يسأل . كـان أبوه نظامـياً . وجودي يطيـعـه في كل مـا يطلبـه منه دون أن يطرح أي نوع من الأسئلة .

جلس كارل تِفلِن ومد يده نحو طبق البيض .

سأل : " أَعددتَ الأبقار للخروج يا بِلي ؟ "

قـال بِلي : " في الزريبـة السـفليـة . يمكنني إخراجها وحــدي بكل سهولة " .

– " يمكنك هذا بالتأكـيـد . لكن الإنسان بحاجة الى رِفْـقَة . إضافة الى أن حلقك يجف تماماً " .

كان كارل تِفلِن مرحاً هذا الصباح .

أطلت أم جـودي برأسـها من الباب . " متى ترى أنك ستعود يا كارل ؟ "

– " لا أعـرف . لا بـد أن أرى بعض الرجـال في سـاليناس . ربما سأبقى هناك حتى الظلام " .

اخـتـفى البـيض والقهوة والبسكويت الكبير بسرعة . تبع جودي الـرجـلين الى خـارج البـيت . ثم راقـبـهما وهما يمـتطيـان جـواديهما ويخرجـان ست بقـرات حلوبات من الزريبـة ، وينطلقان صاعدين التل نحو ساليناس . كانا سيبيعان البقرات العجائز الى الجزار .

عندما اختفيا فوق تاج قمة التل ، سار جودي في التل عائداً الى البـيت . وهرول الكلبـان حـول ركن البـيت ، مـقـوسين أكـتـافهما ومـزمجرين زمجرة مـرعـبة في سرور . ربت جودي على رأسيهما ـ دَبِل تـري مَط ذو الذيل الكبيرِ الكثيف والعـينين الصـفـراوين وسماشِـر الراعي ، الذي قـتل ذئبَ قـيـوط وفـقـد إحـدى أذنيه أثناء ذلك . وأذن سماشِـر السليـمـة تنتـصب أعلى من أذن كلب كولـي collie .

وقد قال بِلي بَكْ أن هذا يحدث دائماً . بعد التحيّة المهووسة ، خفض الكلبان أنفيهما الى الأرض حسب الأصول وسارا في المقدمة ، ملتفتين الى الخلف من وقت الى آخر للتأكد من أن الولد يسير وراءهما . سارا مجتازين فناء الدجاج ورأيا طير السمان يأكل مع الدجاج . فطارد سماشِر الدجاج قليلاً للمحافظة على لياقته في حالة وجود ماشية يرعاها . واصل جودي السير خلال أرض الخضار الكبيرة حيث كانت الذرة الخضراء أعلى من رأسه . كان اليقطين البقري أخضر ولا يزال صغيراً . تابع السير الى خط شجيرات المريمية حيث تجري عين الماء البارد خارجةً من أنبوبها وتسقط في حوضٍ خشبي مستدير . مال فوق العين وشرب من مكان قريب جداً من الخشب الأخضر الطحلبي حيث يكون الماء ألذ طعماً . ثم التفت ونظر الى الخلف نحو المزرعة ، الى البيت الواطىء المبيض الذي يحف به نبات إبرة الراعي الحمراء ، والِى مبنى مرقد العمال الطويل قرب شجرة السرو حيث يقيم بَكْ وحيداً . كان بوسع جودي أن يرى الغلاية الكبيرة السوداء تحت شجرة السرو . ففي ذلك المكان تحرق الخنازير . كانت الشمس تعتلي حافة قمة التل ، متوهجةً على بياض البيوت والحظائر ، ملهبةً العشبَ الرطب . وخلفه ، راحت الطيور تتقافز على الأرض بين شجيرات المريمية العالية ، مطلقةً ضجةً عاليةً بين الأوراق الجافة ، والسناجب تزعق بحدة على منحدرات التلال . ألقى جودي نظرة على مباني المزرعة . أحس بجو من الشك في الجو ، إحساساً بتغيير وخسارة وكسب أشياء جديدة وغير مألوفة . فوق سفح التل ،حلق طائرا buzzard / حِدْأة أسودان كبيران على علو منخفض قرب سطح الأرض وانزلق ظلاهما بسلاسة وسرعة أمامهما . ماتت حيوانات في مكان مجاور . جودي يعرف هذا . قد تكون بقرة أو بقايا أرنب . فطيور الحِدأة لا تغفل عن شيء . إن جودي يكرهها كما يكرهها كل ما هو محترم ، لكنها لا تؤذي أحداً لإنها تكتفي بالجيف .

بعـد وهلة تسكع الولد هابطاً التل ثانيـة . كـان الكلبان قد تخليا عنه منذ فترة طويلة ودخـلا الأجمة ليـقوما بأعمال حسب طريقتهما . سـار عائداً من حديقة الخضار ، وتوقف لحظة ليكسر شمامة بعقب قدمه ، لكنه لم يكن سعيداً بعمله هذا . فهذا عمل سيء يقوم به ، وهـو يـعـرف ذلـك تمـامـاً . ركل بعض القـاذورات فـوق الشمامـة المهشمة حتى يخفيها .

عـنـد عـودتـه الى البـيت ، انحنت أمـه فـوق يديه الخشنتين ، مـتـفـحـصـة أصـابعـه وأظافره . من المجدي قليلاً البَدء في تنظيفه للمـدرسـة ، فـقد تحدث أمور كثيرة جداً في الطريق . تنهدت فوق الشـقـوق السـوداء في أصـابعـه ، ثم أعطته كتبه وغداءه وحملته على الانطلاق في قطع الميل نحـو المدرسـة . لقـد لاحظت أن فمه يعمل كثيراً هذا الصباح .

بدأ جـودي رحلتـه . مـلأ جـيـوبه بحـجـارة الكورتز البـيـضـاء الصـغيرة المتناثرة على الطريق ، وراح يطلق حـجـراً منهـا بين وقت وآخـر على طائر أو على أرنب ظل يقف مـشـمـسـاً نفسه في الطريق مـدة طـويـلـة جـداً . عند مـفترق الطرق فـوق الجـسر ، قـابـل صـديقين ، فـمـشى ثلاثتـهم الى المدرسـة مـعاً ، وقد راحوا يخطون خطوات مـضـحـكة ويتصرفـون تصرفـاً سـخـيـفـاً الى حد ما . لقد فـتـحت المدرسـة أبوابها قـبل أسـبـوعين فقط . وكانت روح تمرد لا تزال سائدة بين التلاميذ .

كـانت السـاعـة الرابعة بعد الظهر حين صعد جودي التل وألقى بـنـظـره الى أسـفـل على المزرعـة ثانـيـةً . بحـث عن الحـصـانين المسرجين ، لكن الزريبـة كـانت خـاوية . لم يعـد أبوه بعـد . سار ببطء عندئذ ليـقـوم بأعمال بعـد الظهـر العـادية الشـاقـة . في بيت المزرعـة رأى أمـه تجلس في شرفـة المدخل ، تصلح جوارب .

قـالت : " توجد قطعتان من doughnut / جوز عجين في المطبخ لـك " . تـسـلل جـودي داخـلاً المطبخ ، ثم عـاد بنصف إحـدى قطعـتي جـوز العجين بعد أن أكل نصفها الأول وفمه مليء . سألته

أمـه عما تعلمـه في المدرسـة في ذلك اليوم ، لكنها لم تصغ الى جوابه الذي تكتمـه الجـوزة . قـاطعتـه : " تأكـد يا جـودي من أن تملأ صندوق الحطب تماماً . لقـد صـالبتَ وضع العـصـي أمس ، فلم يمـتلىء الصندوق حـتى الى نصـفـه . ضع العصي في القاع منبسطة الليلة . كما أن بعض الدجـاجـات تخبىء البيض يا جودي ، أو أن بعض الكلاب تأكلهـا . إبحث في العـشب لتـتأكـد من العثور على أية أعشاش " .

خـرج جـودي وهو لا يزال يأكل ، قـام بعـمله اليومي الشاق . رأى طائر السمان يتـقـدم ليأكل مع الدجاج حين رمى الحبوب . إن أباه فـخور بمجيء السمان لسبب من الأسباب . ولم يسمح بإطلاق النار قرب البيت أبداً خشية أن يطير السمان بعيداً .

حين امـتـلأ صندوق الحطب ، حمل بندقـيته الإثنتين والعشرين واتجـه الى عين الماء عند خط الأجمة . شرب ثانيـة ثم سـدد البندقية على كل مـا رآه أمـامـه : على الصـخور ، على الطيور في الجناح ، عـلى غـلاية الخنازير السـوداء الكبيرة تحت شـجـرة السرو ، لكنه لم يطلق النار ، فلم تكن لديه طلقـات ولن يحصل عليـهـا إلاّ بعد أن يبلغ الثـانيـة عشرة . لو رآه أبوه يسـدد البندقـيـة في اتجـاه البـيت ، لأجل منحـة الطلقـات الى سنة أخرى . تذكر جودي هذا ، فكف عن تسـديد البندقـيـة الى أسـفل التل ثانية . سنتان كافيتان لانتظار الطلقـات . فكل مِنَح أبيه تقدم اليه بتحفظات تقلل من قيمتها الى حد ما . كان هذا نَظاماً صارماً .

تأجل العـشاء حتى الظلام في انتظار عودة أبيه . حين عاد أخيراً مع بِلي بك ، اشـتم جـودي رائحـة الـ براندي اللذيذ في أنفاسهما . أحس بمـتـعـة داخليـة ، فأبوه يتـحـدث إليه أحياناً حين تفوح منه رائحـةَ الـ براندي ، فيذكر حتى أعمالاً قام بها في أيام الشيطنة حين كان فتى .

بعـد العـشاء ، جلس جودي قرب المدفأة وجالت عيناه المؤدبتان الخـجلتـان في أركـان الغـرفة ، وانتظر أن يخبره أبوه بما كان يدور في

خلده ، فجودي يعرف أن لدى أبيه أخباراً . لكن أمله خاب . فقد سدد أبوه اليه أصبعاً حازماً .

- " يحسن أن تأوي الى الفراش يا جودي . سأحتاج إليك في الصباح " .

لم يكن ذلك سيئاً جداً . فجودي يحب أن يقوم بما يجب أن يقوم به من أعمال طالما لا تكون أعمالاً روتينية . نظر الى أرضية الغرفة وصاغ فمه سؤالاً قبل أن ينطق به . سأل برقة : " ماذا سنفعل في الصباح ، نقتل خنزيراً ؟ "

- " لا تلقِ بالاً . يحسن أن تأوي الى الفراش " .

حين أغلق جودي الباب خلفه ، سمع أباه وبِلي بَكْ يقهقهان ، فعرف بأن ما ألقاه هو نكتة . حينما استلقى في السرير فيما بعد ، محاولاً أن يميز الكلمات من التمتمات المنطلقة في الغرفة الأخرى ، سمع أباه يعترض : " لكن يا روث ، ألم أعطه الكثير " .

سمع جودي نعيق البوم وهي تصيد الفئران قرب الحظيرة ، وسمع غصن شجرة فاكهة تخبط وترتطم بالبيت . وكانت هناك بقرة تخور حين استغرق في النوم .

حين تردد صوت المثلث في الصباح ، ارتدى جودي ملابسه حتى بأسرع من العادة . في المطبخ ، خاطبته أمه وهي مغتاظة بينما كان يغسل وجهه ويمشط شعره الى الخلف . " لا تخرج إلاّ بعد أن تملأ بطنك بفطور دسم " .

دخل غرفة الطعام وجلس الى الطاولة الطويلة البيضاء . أخذ كعكة ساخنة تنفث بخاراً من الطبق الكبير ، ووضع بيضتين مقليتين عليها ، ثم غطاها بكعكة ساخنة أخرى وهرس الشيء كله بشوكة .

دخل أبوه وبِلي بَكْ . عرف جودي من الصوت الواقع على الأرضية بأنهما ينتعلان أحذية منبسطة الكعب ، لكنه اختلس النظر الى تحت الطاولة ليتأكد . أطفأ أبوه مصباح النفط ، فقد حل

النهار ، وبدا حازماً صارماً ، لكن بِلي بَكْ لم ينظر الى جودي على الإطلاق . تفادى عيني الفتى المتسائلتين الخجلتين وغمس قطعة كاملة من الخبز المحمص في قهوته .

قال كارل تِفلِن بنزق : " تعال معنا بعد الإفطار ! "

واجه جودي متاعب مع طعامه عندئذ ، فقد أحس بنوع من قضاء محتوم في الجو . بعد أن أمال بِلي بَكْ طبقة وشرب آخر قطرة من القهوة التي انزلقت في جوفه ، مسح يديه على بنطال الجينز ، ثم نهض الرجلان واقفين وابتعدا عن الطاولة ، وخرجا الى نور الصباح معاً ، فتبعهما جودي سائراً على مسافة قصيرة خلفهما . حاول أن يمنع عقله من أن يجري الى الأمام ، حاول أن يمنع عقله من أن يتحرك تماماً .

صاحت أمه : " كارل ، لا تؤخره عن المدرسة " .

اجتازوا شجرة السرو حيث يتدلى عمود عربة أماميّ من أحد أغصانها لذبح وسلخ الخنازير عليها ، ثم تركوا غلاية الحديد السوداء خلفهم ، ليس الأمر ذبح خنزير إذن . أشعت الشمس فوق التل وألقت بظلال أشجار ومبانٍ طويلة ومعتمة . وعبروا حقلاً مليئاً بجذامات الأشجار ليختصروا الطريق الى الحظيرة . فتح أبو جودي الباب ثم دخلوا . كانوا يولون وجوههم شطر الشمس وهم يهبطون المنحدر . كانت الحظيرة سوداء كسواد الليل بالمقارنة بالخارج ودافئة من الحرارة المنبعثة من القش والحيوانات . تقدم أبو جودي نحو حجيرة مربط إسطبل . وأمره : " تعال الى هنا ! " بدأ جودي يرى الموجودات الآن . نظر في حجيرة المربط ، ثم خطا متراجعاً بسرعة عندئذ .

كان مهر صغير ينظر إليه من المربط . كانت أذناه المتوترتان تندفعان الى الأمام ونور عصيان يطل من عينيه . كانت فروة جلده خشنة غليظة كفراء جلدة كلب أرديل ، وكان عرفه طويلاً ومتشابك الشعر . انقبض حلق جودي وانقطعت أنفاسه فجأة .

قال أبوه : " يحتاج الى مَشط جيد ، وإذا سمعت أنك لا

تطعمه جيداً أو تبقي مربطه قذراً ، سأبيعه خلال دقيقة " .
لم يعد يحتمل جودي النظر الى عيني المهر . غض عينيه وحدق في يديه للحظة ، ثم سأل بخجل شديد : " لي ؟ " لم يجبه أي منهما . مد يده نحو المهر . اقترب أنفه الرمادي ، ناشقاً بصوت عالٍ ، ثم ارتدت شفتاه الى الخلف وأطبقت الأسنان القوية على أصابع جودي . هز المهر رأسه الى الأعلى والأسفل ، فبدا أنه يضحك مسروراً . نظر جودي الى أصابعه المكدومة . ثم قال بفخر ـ " حسناً - حسناً ، أظن أنه يستطيع أن يعض تماماً " .
ضحك الرجلان بارتياح الى حد ما . ثم خرج كارل تِفلِن من الحظيرة ومشى صاعداً منحدر تل ليختلي بنفسه ، فقد كان مرتبكاً ، لكن بلي بَكْ بقي في الحظيرة . كان من السهل الحديث مع بِلي بَكْ . سأل جودي ثانية : " لي ؟ "
اتخذت لهجة بِلي مسحة مهنية : " مؤكد ! ذلك إذا إعتنيت به وروضته ترويضاً صحيحاً . سأريك كيف تفعل هذا . إنه مجرد مهر صغير . لا يمكنك أن تركبه لبعض الوقت " .
مد جودي يده المكدومة ثانية ، فسمح المهر الأحمر له بالتربيت على أنفه هذه المرة . قال جودي : " يجب أن يكون لديّ جزرة . من أين حصلنا عليه يا بِلي ؟ "
أوضح بِلي : " اشتريناه من مزاد شريف الشرطة . أفلَس سيرك في ساليناس وتراكمت عليهم الديون . فباع الشريف ممتلكاتهم " .
مد المهر أنفه وهز شعر ناصيته مبعداً إياه عن عينيه الوحشيتين . مسح جودي على أنفه الصغير . قال برقة : " لا يوجد - سرج ؟ "
ضحك بِلي بَكْ : " نسيت . تعال " .
في غرفة عدّة الخيل ، رفع سرجاً مصنوعاً من جلد مراكشي أحمر . ثم أوضح بِلي بك باستخفاف : " إنه مجرد سرج سيرك . إنه لا يصلح للأجمة ، لكنه كان رخيصاً عند البيع " .

خشي جـودي أن تخذله شـجـاعـته عند النظر الى السرج أيضاً ، ولم يـسـتـطع أن يتكلم إطلاقـاً . نظف الجلد الأحمر اللامع بأطراف أصـابعـه كما يفـعـل بفـرشـاة ، ثم قال بعد وقت طويل : " لكنه سـيـبـدو جميلاً عليه " . فكر بأعظم وأروع الأمور التي عرفهـا . " إذا لم يكن له اسم ، فأنا أفكر في أن أدعوه بجبال جابيلان " .

عـرف بِلي بَكْ مـا يعـتـمل في نفس جـودي من مشاعر . " إنه اسم طويل جـداً . لِمَ لا تدعوه فقط جابيلان ؟ ذلك يعني صقر . سيكون ذلك اسماً جميلاً له " . أحس بِلي بالسعادة . " إذا جمعت شـعـر ذيل ، فقد أتمكن من صنع حبل لك في وقت من الأوقات . يمكنك استعماله كرسن " .

أراد جـودي أن يعـود الى حـجيرة المربط . " هل أسـتطيع أخذه الى المدرسـة ، ترى هذا - لأريه للأولاد ؟ "

لكن بِلي هز رأسـه . " لم يدرب على الرسن بعـد . استـغـرقنا وقـتاً طويلاً للوصـول به الى هنا . كـان لا بد أن نجـرّه تقـريبـاً . يحسن أن تنطلق الى المدرسة الآن " .

قـال جـودي : " سـأحضر الأولاد الى هـنـا لـيروه بعـد ظهـر اليوم " .

هبط سـتـة أولاد التل قبل نصف ساعة من بعد ظهـر ذلك اليوم ، راكـضين بجـد ، رؤوسـهـم منكسة ، سواعدهم تتحرك ، أنفاسهم تصـفـر . تجـاوزوا البـيت بسرعـة وعبروا حـقل الجـذامـات قاطعين طريقـاً مختصراً نحـو الحظيرة . ثم توقـفـوا خـجلين أمـام المهر ، ثم نظروا الى جـودي بأعين فـيـها إعجاب جديد واحـترام جديد . قبل اليـوم ، كـان جـودي مجرد ولد ، يلبس وزرة سروالية وقميصاً أزرق - أهدأ من أغلب الأولاد ، حـتى يشك في أنه جـبـان قليـلاً . وها هـو الآن يـصـبـح مختلفـاً . فـمن ألف قـرن من الزمن ، سـحـبـوا الإعـجـاب القديم الذي يكنه المشاة للفرسان . فهم يعرفون غريزياً أن رجـلاً على مـتن حـصـان يكون أكبر روحـيـاً وجـسمانياً من رجل

على قـدميـه . عـرفـوا أن جـودي رُفع بمـعجزة وأخرج من المساواة بهم ، ووضع في مكان فـوقـهم . مـد جـابيـلان رأسه خارج المربط وتشممهم .
صـاح الأولاد : " لماذا لا تـركـبـه ؟ " " لمـاذا لا تـزيـن ذيله بأشرطة كما في المعـرض ؟ " " متى ستركبه ؟ "
ارتفـعت مـعنويات جودي . أحس هو أيضـاً بتفوق الفارس . " إنه ليس كـبيراً تمامـاً . لن يسـتطيع أحـد أن يركبه إلاّ بعد مرور وقت طويل . سأدربه على الرسن الطويل . سيريني بِلي بَكْ كـيف سيكون هذا " .
- " ألا يمكننا أن نقوده حولنا قليلاً " .
قـال جـودي : " لم يتـدرب على الرسن بعـد " . أراد أن يكون وحـيـداً تمـامـاً حـين يخرِج المهـر لأول مـرة . " تعـالوا وانظروا الى السرج " .
وقـفـوا صـامـتـين أمـام الـسرج المراكشي ، صـدمـوا تمامـاً فلم يـعلقـوا . أوضح جـودي : " لا فـائدة كـبيرة منه في الأجمة . لكنه سـيبدو جميلاً عليه . ربما سأركبه وظهره عارٍ حينما أدخل الأجمة " .
- " كيف ستربط بقرة بحبل دون قرن سرج ؟ "
- " ربما سأجلب سرجـاً آخـر للاسـتعمال اليومي . قد يريد أبي أن أعـاونـه على الماشـيـة " . سـمح لهم بتـحـسس السرج الأحمر ، وأراهـم الـسـلـسـلـةَ الـنحـاسـيـة المكونة للجـام على السرج وأزرار النحـاس الكبيرة على كل صـدغ حـيث يتـصـالـب حـجـاب الرأس ورباط الجـبهة . كان الشيء كله رائعاً جداً . كان عليهم أن يرجعوا الى بيـوتهم بعد وهلة ، فبحثَ كل صبي في ذهنه عن رشوة يقتطعها من ممتلكاته تسـتـحق أن يقـدمها مقابل ركوبه على المهر الأحمر حين يحـين الوقت .
كـان جـودي سـعـيـداً حـينما ذهبـوا . أخـذ فرشاة ومَحِسـّة من الحـائط ، فـتح حـاجـز حـجيرة المربط وخطا الى داخلهـا بحـذر . تألقت عـينا المهـر ودار حـول نفـسـه مـتـخذاً وضع الرفس . لكن

جـودي لمس كـتـفـه وفرك رقبته العالية المقوسة كما كان يرى بِلي بَكْ يفـعل ذلك دائماً ، وهمهم بصـوت عـمـيق : " سـوو يا فـتى " . خـفف المهـر من توتره تدريجيـاً . مشط جودي المهر ونظفه بالفرشاة حـتى استقرت كومة من الشعر الميّت في المربط وأصبحت فروة جلد المهـر لامـعة لمعةً حمراء عميقة . جدل العرف مكوناً دزينة من ذيول خنزير صـغيرة ، وجـدل شـعـر ناصـيـته ، ثم حل الجدائل ومَشَط الشعر المنسدل ليصبح مستقيماً مرة أخرى .

لم يسـمع جـودي أمـه وهي تدخل الحظيرة . كـانت غاضبة حين دخلت ، لكنهـا أحـست بفـخـر غـريب يتـملكها حين نظرت الى الداخل نحـو المهـر وجـودي منهـمك بالعـمل على تنظيـفه . سألته برقـة : " أنسيت صندوق الحطب ؟ لم يبقَ وقت طويل على الظلام وليست في البيت حطبة ، ولم يطعم الدجاج " .

وضع جـودي أدواته بسرعة . " نسيت يا سيدتي " .

- " حـسناً ، من الآن فـصاعداً قم بعملك اليومي أولاً . وعند فـلا تنسى . أتوقع أن تنسى الكثير الآن إنْ لم أراقبك " .

- "هل يمكنني الحصول على جزر من الحديقة له يا سيدتي ؟ "

كـان عليـهـا أن تفكر بذلك . " أوه - أظن ذلك ، إذا أخذتَ الجـزرات الكبيرة اليابسة فقط " .

قال : " الجزر يحافظ على نقـاء فروة الجلد " . وتملكتها اندفاعة فخر غريبة مرة أخرى .

لم يعـد جـودي ينتظر أن يخرجه المثلث من السرير بعد مجيء المهر . أصـبح من عـادته الزحف خـارجـاً من السرير حتى قبل أن تستيقظ أمه ، فينزلق في ملابسه ويخـرج بهدوء ليذهب الى الحـظيرة ليرى جـابـيـلان . في الـصـبـاحـات الـرمـادية الهادئة حين تكون الأرض والأجمة والـبـيـوت والأشـجـار بلون رمـادي فضي وأسـود كـسلبـيـة صـورة فـوتوجـرافـيـة ، كـان يتـسلل نحـو الحظيرة ، مجتازاً الحجارة النائمـة وشـجـرة السرو النائمـة . بينما الديوك الرومـية الجاثمة على

الشـجرة بعيداً عن متناول ذئاب القيـوط تقوقـىء نَعسة . والحقول تتـوهج بنور رمـادي شـبيـه بالصـقـيع ، تظهر آثار الأرانب وفئران الحـقـول في الندى واضـحـة تماماً . الكلبان الطيبان يخرجان متيبسي الأطراف من وجـاريهما الصـغيرين وشـعر عنقيهما وظهريهما ينتصب وزمجرات عـمـيـقـة تـنـطلق من حلقـيـهما . عندئذ يشتما رائحــة جـودي ، فينتصب ذيلاهما المتصلبان مرتفعين ، ويلوحان بهما محيين - دبل تري مَطْ بذيله الكثيف الكبير وسماشِر الراعي البدائي - ثم يعوداً بتكاسل الى فراشيهما الدافئين .

كـان وقـتـاً غـريبـاً ورحلة غـامضة بالنسبة الى جودي - امتــداد حلم . حين أصـبح المهـر ملكاً له في البـداية ، صـار يحب تعذيب نفسه أثناء الرحلة بالتفكير في أن جابيلان لن يكون في مربطه ، أو الـتـفـكـير في الأسـوأ وهو أن المهـر لم يكن هناك قط . وكـان يحس بآلام لذيذة صـغيرة أخـرى يثيرها هو نفسـه . فكر كـيف قـرضت الجـرذان ثقـوباً مشرشرة في السرج الأحمر ، وكـيف قـضمت الفئران ذيل جـابيـلان الى أن أصبح خيطيّ الشكل ورفيعاً . وعادةً ما يقطع آخـر الطريق القـصير المؤدي الى الحظيرة جـارياً . فيحل لاقط غلق باب الحظيرة الصـدىء ويخطو داخلاً ، فينظر إليه جابيلان من فوق حـاجـز حـجيرة المربط دائماً ، ويصهل برقة ، ويخبط قدمه الأمامي بالأرض بينما تسـتـقـر في عينيه شرارات كبيرة من نار حمراء كجمرات البلوط ، مـهما حافظ جودي على الهدوء وهو يفتح الباب .

أحـياناً ، إذا كانت خيول العمل ستستخدم في ذلك اليوم ، يجد جـودي بِلي بَك في الحظيرة يعـد الخيل وينظفها بالمِحَسّة . فيقف بِلي مـعـه ويطيل النظر في جـابيـلان ويحدث جـودي عن أمـور عظيـمة عـديدة عن الخـيل . وقـد أوضح له بأنها تخاف خـوفـاً شـديداً على أقـدامـهـا ، مما يجعل من المحتم على الإنسان أن يمارس رفع أرجلها والتربيت على حـوافـرها وسنابكهـا ليـزيل خـوفـهـا . وأخبر جودي كـيـف أن الخـيل تحب الحـديث . فـعليـه أن يتكلم الى المهـر طيلة الوقت ، ويخبره عن أسـبـاب كل شيء . لم يكن بِلي مـتأكـداً مما إذا

كـان الحصان يستطيع أن يفهم كل ما يقال له ، لكن من المستحيل تحـديد مـدى مـا يفهمه . والحصان لا يثير ضجة أبداً إذا أوضح له شـخـص جليـة الأمـور . كـان بوسع بِلي تقـديم أمثلــة على ذلك أيضـاً . فـقـد عـرف ، مـثـلاً ، أن حـصـانـاً كـاد يقع من التعب والإرهاق انتـعش ونشط بعـدما قيل له بأنه لا يبعد إلا مسافة قصيرة عن هدفـه المنشـود . وقـد عـرف حـصـانـاً شله الخوف إستعاد قواه حين أخبره راكـبـه بما كـان يخيـفـه . وبينما كان بِلي بَكْ يتحدث إليه في الـصـبـاحـات ، راح يقطع عشرين أو ثلاثين قـشـةً بطول ثلاث بوصـات ويشـذبها ويغـرزها في زيق قـبعته . فإذا رغب أثناء النهار كله في نكش أسنانه أو مـضـغ شيء مـا ، فـلا يكون عليه سوى أن يمد يده الى إحدى تلك القشات .

أرهف جـودي الـسـمـع إليـه ، فـهـو يعرف وكل المنطقة تعرف ، أن بِلي بَكْ عـامل خـيل ماهر . كان حصان بِلي بَكْ من نوع كيوس نحـيل له رأس شـبـيه بمطرقة ، لكنه كان يفوز دائماً بالجوائز الأولى في مـعـارض المواشي . كان بإمكان بِلي أن يربط ثوراً صغيراً بحبل ، ويلف نصف عـقـدة مـزدوجـة حـول قرنه بوهقه ويترجل ، فيلعب حـصـانه بالثـور المخصي كما يلعب صـائد الـسـمك بسمكة ، مبقياً الحـبل مـشدوداً الى أن يسقط الثور عــلى الأرض أو يهزم .

في كل صـبـاحٍ ، كـان جودي ينزل حاجزَ المربط بعد أن يمشط وينظف المهـر بمحسّة ، فيندفع جابيلان أمامه ويعبر الحظيرة جارياً ثم يدخل الزريبـة . فيهرول دائراً دورات عديدة ، ويقفز أحياناً الى الأمـام لـيـسـتـقـر بعـدئذ على أرجل مـتيبسة . فيقف مرتعشاً وأذناه تندفـعـان الى الأمام ، وتجحظ عيناه ويظهر بياضهما ، متظاهراً بأنه خـائف . أخيراً ، يمشي شاخراً نحو حوض الماء فيدفن أنفه في الماء حـتى منخـريه . حـينذاك ، يحس جـودي بالاعـتزاز ، فهو يعرف بأن هذه هي الطريقة للحكم على حصان . فالخيول الضعيفة تلمس الماء بشفتيها فقط ، لكن وحشاً عالي المعنويات يدس أنفه وفمه كله تحت الماء ويبقي بقعة صغيرة فقط للتنفس .

ثم يقف جودي يراقب المهر ، فيرى أموراً لم يلحظها قط في أي حصان آخر ، يرى عضلات الخاصرة الملساء المنزلقة وأوتار الردفين التي انقبضت كقبضة مكورة ، واللمعة التي أضفتها الشمس على فروة الجلد الحمراء . ومع أن جودي رأى خيولاً طيلة حياته ، إلاّ أنه لم يمعن النظر فيها من قبل . لكنه يلاحظ الآن الأذنين المتحركتين اللتين أضفتا تعبيراً ، وحتى علامة تغيير على الوجه . فالمهر يتكلم بأذنيه . ويمكنك أن تعرف ما يحس به نحو كل شيء بالضبط من الطريقة التي تشير بها أذناه . فأحياناً تكونان متيبستين وقائمتين عمودياً ، وأحياناً أخرى تكونان مسترخيتين ومتهدلتين . إنهما تندفعان الى الخلف حينما يكون غاضباً أو خائفاً ، والى الأمام حين يكون قلقاً وفضولياً ومسروراً ، فيدل وضعهما المضبوط على العواطف التي تعتمل في نفسه .

حافظ بلي بَك على وعده . فقد بدأ التدريب في أوائل الخريف . في البداية ، كان التدريب على الرَسَن ، وكان ذلك أصعب التدريبات لإنه أول التدريبات . فأمسك جودي جزرة وخادع وأغرى المهر وجذب الحبل الى الأمام . لكن المهر غرس أقدامه في الأرض كجحش حين أحس بالجذب . لكنه سرعان ما تعلم . فمشى جودي في جميع أنحاء المزرعة وهو يقوده . وأخذ يسقط الحبل تدريجياً حتى تبعه المهر الى أي مكان ذهب اليه دون أن يقوده إليه .

ثم حل وقت التدريب على الرسن الطويل . كان ذلك عملاً أبطأ . فقد وقف جودي في منتصف دائرة ممسكاً بالرسن الطويل . طرقع بلسانه فراح المهر يمشي بدائرة كبيرة وقد قيده الحبل الطويل . طرقع ثانية ليحمل المهر على السير خبباً ، ثَمّ يجعله يهرول ثانية . دار جابيلان مرات عديدة راعداً ومستمتعاً بالسير إستمتاعاً شديداً . ثم صاح : " هوا " ، فتوقف المهر . لم يمضِ وقت طويل حتى أتقن جابيلان هذا . لكنه كان مهراً سيئاً من جوانب عديدة . فقد عض جودي في بنطاله وداس على قدمي

جـودي . ومن وقت الى آخـر ، ترتد أذناه الى الخلف ويسـدد ركلةً هـائلـة الى الولد . وكلما قـام جـابيـلان بعـمل من هذه الأعـمـال السيئة ، تراجع الى الخلف ، وبدا كأنه يضحك لنفسه .

عـمل بِلي بك على حـبل الشـعـر في الأمـاسي أمـام المدفأة . أما جـودي فـقـد جمـع الـذيلَ في كـيس ، وجلس يراقب بِلي ببطء وهو يصنع الحبل ، بارمـاً بضع شـعـرات ليـصنع منهـا خـيطاً ، وبارماً خـيطين مـعـاً ليـصنع منهما وتراً ثم جـادلاً عدداً من الأوتار ليصنع الحبل . جَدَل بِلي الحـبل المنتـهي على أرضـيـة الغـرفـة تحت قـدمه ليجعله مستديراً وصلباً .

اقـترب تـدريب الرسن الطويل من الإتقـان بسرعـة . وكـان أبو جـودي قـلـقـاً وهـو يـراقب المهـر يقف ويبـدأ من جـديد ويخـب ويهرول .

قـال شـاكـيـاً : " إنه يكاد يصـبح مـهراً مخادعاً . أنا لا أحب الخيـول المخـادعـة . إن هذا يجرد الحـصـان من كل - كـرامة فيه ليـجـعله يمارس الخـداع . آه ، الحـصـان المحتال شبيه بممثل - لا كـرامة له ، لا شخصية له " . وقال أبوه : " أظن أنه يحسن بك أن تعـوده على استعمال السرج بأسرع وقت " .

اندفع جـودي الى غـرفـة عـدة الخـيل . ظل يركب السرج وهو مـوضـوع على حصان نشر . وغير طول الركاب مرات عديدة ، ولم يتـمكن أبداً من جـعله بالطول الصـحيح . أحياناً ، امتطى جودي حـصـان النشر في غـرفة عدة الخيل أحياناً ، حتى خارج الحجرة ، والأطواق والأسماط وسـيـور الجـر تتـدلى كلها حوله . وضع بندقيته على قـربوس . رأى الحـقـول تطير من أمـامه ، وسمع خبط الحوافر المهرولة .

كـان وضع السرج على المهـر لأول مرة عملاً مدغدغاً . فقد تقوس ظهـر جـابيـلان وتراجع ورمى السرج عن ظهـره قبل أن يحكم ربط حـزام السرج . كـان لا بد أن يعـيـد وضع السرج على ظهره مرات

عـديدة الى أن سـمح المهـر بابقـائه عليـه . وكان ربط حزام السرج صـعـبـاً كذلك . يوماً بعد يوم زاد جودي من إحكام حزام السرج وشيئاً فشيئاً حتى لم يعد المهر يبالي أخيراً بوضع السرج عليه قط .

ثم جـاء دور اللجـام . أوضح بِلي كـيف تعـمل عصا من عِرق سـوس كلقـمـة الى أن يعتـاد جـابيـلان على وجـود شيء في فمه . أوضح : " يمكننا أن نجبره بالقـوة على كل شيء طبـعاً ، لكنه لن يكون حصاناً جيداً ، كما نريده أن يكون ، إذا فعلنا ذلك . سيبقى خـائفـــاً قليـلاً دائمـــاً ، ولن يمانــع في هذا لإنه يريد أن يكون كذلك " .

حـينما لبس المهـر اللجـام لأول مـرة ، سـاط رأسـه حوله وحرك لسـانه على اللقمة الى أن نَزّ الدم من ركني فمه . حاول حكّ رأسية اللجـام على المذود ليـبـعدها عنه . دارت أذناه وتلونت عيناه باللون الأحمر من الخـوف بصـخب كـبير . أمتع هذا جودي ، فهو يعرف أن حصاناً دنيء النفس فقط هو الذي لا ينفر من التدريب .

ارتـعـش جـودي حـين فـكـر في الـوقت الذي سيركب فـيـه على السرج لأول مرة . من المحتمل أن يرميه المهر عن ظهره . ليس في ذلك أي عـار . العار ألاّ ينهض من سقطته ويمتطيه ثانية . أحياناً حلم بأنه انطرح في التراب وبكى ولم يسـتطع أن يحمل نفسه على أن يمتطيه ثانية . لاحقه عار الحلم حتى منتصف النهار .

راح جـابيـلان ينمـو بسرعة . فقد فَقَد طولَ السيقان الذي يميز الأمـهـر الصـغيرة ؛ طال عرفه وأسود . أصبحت فروة جلده ملساء ومـتألقـة كطلاء لَكْ أحمر برتقـالي بفـعل التنظيف المسـتـمر بالمحَسّة والفـرشـاة . زيت جـودي الحوافر وأبقاها مشذبة تشذيباً جيداً حتى لا تتشقق .

كـاد حبل الشعر أن يكتمل . أعطاه والده مهمازين قديمين وثني قـضـيـبـيـهـا الجـانبـيين الى الداخل فقطع شريطيهما ورفع سلستيهما الصـغيرتين الى أن أصـبـحـا مناسـبين . ثم قال كارل تِفلِن في أحد الأيام :

- " يكبر المهر بأسرع مما حسبت . أظن أنه يمكنك أن تركبه بحلول عيد الشكر . أتظن أنك يمكنك البقاء على ظهره ؟ "

قال جودي بخجل : " لا أعرف " . كان قد بقي على عيد الشكر ثلاثة أسابيع . أمل ألاّ تمطر السماء ، فالمطر سينشر بقعاً على السرج الأحمر .

عرف جابيلان جودي وأحبه الآن . فهو يصهل حين يعبر جودي حقل الجذامات ، وكان يأتي راكضاً في المرعى حينما يصفر له سيده . فله جزرة دائماً وفي كل مرة .

شرح له بِلي بَك تعليمات ركوب الحصان مرات عديدة : " حين تعلوه ، شد بقوة بركبتيك وألق يديك بعيدتين عن السرج ، وإذا قذف بك ، فلا يثنيك هذا . مهما كان الرجل ماهراً ، هناك دائماً حصان يطرحه أرضاً ، إعلوه ثانية قبل أن يحس بالتفوق . سرعان ما سيكف عن رميك ، وسرعان ما سيعجز عن رميك مرة أخرى . تلك هي الطريقة التي يمكنك ركوبه بها " .

قال جودِي : " آمل ألاّ تمطر قبل ذلك " .

- " لِمَ لا ؟ ألا تريد أن يقذف بك في الطين ؟ "

كان ذلك جزءاً من التدريب ، كما كان خائفاً أن ينزلق جابيلان الشاب على قائمتيه الخلفيتين أثناء هياجه ويسقط عليه فيكسر رجله أو ردفه . لقد رأى ذلك يحدث لرجال من قبل ، رأى كيف تلووا على الأرض كديدان مسحوقة ، وكان خائفاً من هذا " .

تدرب على حصان النشر كيف يمسك بالأعنة بيده اليسرى ويمسك بقبعة بيده اليمنى . لو أبقى يديه مشغولتين هكذا ، لما تمكن من أن يمسك بالقرن حين يحس بنفسه يسقط . إنه لا يجب أن يفكر بما سيحدث له إن هو أمسك بالقرن . ربما لن يتكلم أبوه ولا بِلي معه ثانية أبداً ، فسيجللهم العار الى حد كبير . وستنتشر الأخبار في كل مكان وسيجلل أمه العار أيضاً . وفي ساحة المدرسة - من البشع جداً التفكير في ذلك .

أخذ يلقي بثقله على ركاب حينما أسرج جابيلان ، لكنه لم يرمِ

برجله فوق ظهر المهر . كان ذلك ممنوعاً الى أن يحل عيد الشكر .
بعد ظهر كل يوم ، أخذ جودي يضع السرج الأحمر ويربطه بإحكام . تعلم جابيلان أن يملأ معدته وينفخها على نحو غير طبيعي عند التفاف حزام ربط السرج حوله ، ثم ينفس الانتفاخ عندما تثبت الأشرطة . أحياناً ، قاده جودي الى خط الأجمة وسمح له بالشرب من الحوض الأخضر المستدير ، وأحياناً قاده ليعبر حقل الجذامات الى قمة التل التي يمكن من فوقها رؤية مدينة ساليناس البيضاء وحقول الوادي العظيم الهندسية ، وأشجار البلوط التي قطعت الأغنام أطرافها . ومن وقت الى آخر ، اخترقا الأجمة ووصلا الى دوائرِ أرض فضاء تحيط بها أشجار مما يوحي بأن العالم قد ولى ولم يبقَ من الحياة القديمة سوى السماء ودائرة الشجيرات . أحب جابيلان هذه الرحلات وأظهر حبه هذا بإبقاء رأسه مرفوعاً وبهز منخريه باهتمام . حين كان الإثنان يعودان من رحلة كهذه ، كانا يفوحان برائحة المريمية الحلوة التي كانا شقا طريقهما بينها .

مضى الوقت بخطى وئيدة ليقترب من عيد الشكر ، لكن الشتاء حل في وقت مبكر . انسابت السحب هابطة وتعلقت طيلة النهار فوق الأرض وغطت قمم التلال ، وهبت الرياح مزمجرة في الليل . طيلة النهار سقطت أوراق البلوط الجافة منجرفةً على الأرض من الأشجار الى أن غطت سطح الأرض ، إلاّ أن الأشجار ظلّت دون تغيير .
تمنى جودي ألاّ تسقط الأمطار قبل عيد الشكر ، لكنها سقطت . تحولت الأرض البنية اللون الى اللون الأسمر وتلألأت الأشجار . اسودت نهايات الجذامات المقطوعة بفعل العَفَن الفطري ؛ وأصبح لون أكوام القش رمادياً من تعرضه للرطوبة ، وتحول لون أسطح الطحلب ، الذي كان رمادياً كلون السحالي ، الى اللون الأخضر المصفر اللامع . طيلة أسبوع المطر ، أبقى

جودي جابيلان في حجيرة المربط بعيداً عن البلل ، إلاّ لفترة قصيرة بعد المدرسة حين كان يخرجه للتدريب وللشرب من حوض الماء في الزريبة العليا . لم يتبلل جابيلان حتى ولا مرة واحدة .

استمر الطقس الماطر الى أن ظهر عشب جديد صغير . سار جودي الى المدرسة مرتدياً معطفاً مشمعاً وجزمة مطاط قصيرة . أخيراً ظهرت الشمس ساخنة في صباح أحد الأيام . قال جودي وهو يعمل في حجيرة المربط مخاطباً بِلي بك : " قد أبقي جابيلان في الزريبة حينما أذهب الى المد سة اليوم " .

أكد له بِلي : " أحسِن إليه بإخراجه الى الشمس . لا يحب أي حيوان أن يحبس في الزريبة مدة طويلة جداً . سيعود أبوك وأنا الى التل لتنظيف النبع وإخراج أوراق الشجر منه " . ثم أومأ برأسه ونكش سنه بإحدى القشات الصغيرات .

اقترح جودي : " وإذا أمطرت السماء ، هل - "

- " من غير المحتمل أن تمطر اليوم . لقد أمطرت حتى لم تبق فيها قطرة " . رفع بِلي كُمَيه وانتزع شريطيّ ذراعيه . " إذا أمطرت - فماذا ، قليل من المطر لن يؤذي حصاناً " .

- " حسناً ، إذا أمطرت ، ستدخله ، أليس كذلك يا بِلي ؟ أخشى أن يصاب بالبرد فلا أستطيع ركوبه حين يأزف الوقت " .

- " أوه بالتأكيد ! سأنتبه الى هذا حين نعود في الوقت المناسب . لكنها لن تمطر اليوم " .

هكذا ترك جودي جابيلان واقفاً خارج الحظيرة في الزريبة المكشوفة حين ذهب الى المدرسة .

لم يخطىء بِلي بك في كثير من الأمور . فهو لا يمكنه أن يخطىء . لكنه أخطأ فيما يتعلق بالطقس في ذلك اليوم ، فقد إندفعت السحب فوق التلال بعد وقت قصير من ظهر ذلك اليوم ، وأخذ المطر ينهمر مدراراً . سمع جودي المطر عندما بدأ يتساقط على سطح مبنى المدرسة . فكر برفع إصبعه ليأخذ إذناً بالخروج وحالما يخرج يجري الى البيت ليدخِل المهر الى الحظيرة .

سيكون العقاب فورياً في المدرسة وفي البيت . تخلى عن الفكرة واطمأن من تأكيد بِلي له بأن المطر لا يؤذي حصاناً . حين خرج التلاميذ من المدرسة أخيراً ، أسرع الى البيت تحت المطر الداكن . اندفع الماء يسيل على جانبي الطريق على شكل نفثات ماء طيني . انحرف خط سير المطر ودوّم تحت ريح باردة عاصفة . هرول جودي في جريه ككلب وهو يتجه الى البيت ، مخوضاً في طين الطريق المفروش بالحصى .

من قمة التل رأى جابيلان يقف تعيساً في الزريبة المكشوفة . كانت فروة جلده الحمراء سوداء تقريباً ، ومخططة بالماء . وقف ورأسه منكس وكَفْله معرض للمطر والريح . وصل جودي إليه جارياً وفتح باب الحظيرة بقوة وقاد المهر المبلّل الى داخل الحظيرة من شعر ناصيته . ثم عثر على كيس خيش وفرك به الشعر المبلول وفرك رجليه وكاحليه . وقف جابيلان صابراً ، لكنه ارتعش بنوبات شبيهة بهبات الريح .

حينما جفف جودي المهر قدر استطاعته ، ذهب الى البيت وأحضر ماء ساخناً الى الحظيرة ونقع الحبوب فيه . لم يكن جابيلان جائعاً جداً . قضم من الجريش الساخن ، لكنه لم يكن مهتماً به كثيراً ، وظل يرتعش من وقت الى آخر . بينما تصاعد بخار طفيف من ظهره الرطب .

كان الجو معتماً قليلاً حينما عاد بِلي بَكْ وكارل تِفلِن الى البيت . أوضح كارل تِفلِن : " حين أخذ المطر يسقط ، نزلنا ضيوفاً على بِن هيرتش ، ولم ينقطع المطر طيلة بعد الظهر " . نظر جودي الى بِلي بَكْ مؤنباً وأحس بِلي بالذنب .

اتهمه جودي : " قلتَ إنها لن تمطر " .

أشاح بِلي بنظره عنه . قال : " من الصعب التنبؤ بهذا في هذا الوقت من السنة " ، لكن عذره كان واهياً . ليس من حقه أن يكون عرضةً للخطأ ، وقد عرف هذا .

- " ابتل المهر ، نقع بالماء تماماً " .

- " هل جففته ؟ "
- " فركته بكيس وقدمت إليه حبوباً ساخنة " .
أومأ بِلي برأسه موافقاً .
- " أتظن أنه سيصاب بالبرد يا بِلي ؟ "
أكّد له بِلي : " قليل من المطر لن يؤذي أي شيء " .
انضم أبو جودي الى الحديث حينذاك وألقى محاضرة قصيرة على الفتى . قال : " الحصان ليس كلباً مدللاً " . إن كارل تِفلِن يكره الضعف والمرض ، ويحس باحتقار عنيف تجاه العجز .
وضعت أم جودي على الطاولة طبق شرائح لحم وبطاطا مسلوقة وجريشاً مسلوقاً ، فانتشر سحاب بخار في الغرفة . جلسوا ليأكلوا . ظل كارل تِفلِن يتذمر من الضعف الذي يغرس في نفوس الحيوان والإنسان بفعل التدليل الزائد عن حده .
تكدر بِلي بك من غلطته . سأل : " هل أحطته ببطانية ؟ "
- " لا . لم أجد أية بطانية . فردت بعض أكياس خيش على ظهره " .
- " سنذهب الى هناك ونغطيه بعد أن نأكل " .
أحس بِلي بالارتياح عندئذ . حين دخل أبو جودي الغرفة الى النار ، كانت أمه تغسل الأطباق ، وجد بِلي قنديلاً فأشعله . سار هو وجودي في الوحل الى الحظيرة . كانت الحظيرة مظلمة ودافئة ومريحة . كانت الخيل لا تزال تمضغ قش المساء . أمره بِلي : " أمسك القنديل ! " وتحسس أرجل المهر وفحص حرارة الخاصرتين . وضع وجنته على خطم المهر الرماديّ وقَلَب جفني العينين لينظر الى المقلتين ورفع الشفتين ليرى اللثتين ، وأدخل أصابعه في أذنيه . قال بِلي : " لا يبدو مريضاً جداً ، سأجففه " .
ثم وجد بِلي بَكْ على كيس وفرك رجلي المهر بقوة وفرك الصدر والحارك . كان جابيلان بلا حيوية على نحو غريب . خضع للفرك صابراً . أخيراً أحضر بِلي بَكْ لحاف قطن من غرفة الأسرج ، ورمى به على ظهر المهر وربطه عند العنق والصدر بخيط .

قال بِلي : " سيكون بصحة جيدة في الصباح " .

رفعت أم جودي نظرها إليه حين عاد الى البيت . قالت : " تأخرتَ على النوم . رفعت ذقنه في يدها القاسية وأزاحت شعره المتشابك وأبعدته عن عينيه ، قالت : " لا تقلق على المهر . سيكون بخير . بِلي ماهر مهارة أي طبيب خيل في البلاد " .

لم يعرف جودي إنْ كانت ترى قلقه . ابتعد بلطف عنها وركع أمام المدفأة الى أن حرقت بطنه . عرض جسمه كله للنار حتى سخن ثم أوى الى فراشه ، لكن النوم كان صعب المنال . استيقظ بعد ما بدا له أن وقتاً طويلاً مر على نومه . كانت الغرفة مظلمة لكن لوناً رمادياً من النوع الذي يسبق الفجر غشي النافذة . نهض ووجد وزرته السروالية وبحث عن ساقي السروال وهو يرتديه ، ثم دقت الساعة في الغرفة الأخرى دقتين عندئذ . وضع ملابسه على الأرض واندس ثانية في الفراش . كان نور النهار منتشراً حينما استيقظ ثانية . لأول مرة تجاوز رنين المثلّث وهو نائم . قفز ، لبس ملابسه بسرعة وخرج من الباب وهو لا يزال يزرر قميصه . لاحقته أمه بنظراتها للحظة ثم عادت الى عملها بهدوء . كانت عيناها متأملتين وعطوفتين . من وقت الى آخر ارتسمت على فمها ابتسامة قصيرة لكن دون أن تغير عينيها قط .

جرى جودي نحو الحظيرة . في منتصف المسافة إليها سمع الصوت الذي أفزعه ، سعلةَ حصان صارة خشنة جوفاء . فاندفع مسرعاً الى الداخل عندئذ . في الحظيرة رأى بِلي بَكْ مع المهر . كان بِلي يفرك أرجله بيديه الغليظتين القويتين . رفع نظره وابتسم بمرح . قال بِلي : " إصابه برد خفيفة فقط . سنشفيه منه خلال يومين " .

نظر جودي الى وجه المهر . كانت عيناه نصف مغمضتين وجفناه غليظين وجافين . في زاويتي العينين التصقت قشرة مخاط قاسية . تدلّت أذنا جابيلان بارتخاء الى جانبيّ رأسه وكان رأسه

منكساً . مد جودي يده ، لكن المهر لم يتحرك مقترباً منها . سعل ثانية وارتعص كل جسمه من الجهد . جرى سيل سائل رفيع من منخريه .

التفت جودي الى بِلي بَكْ . " إنه مريض جداً يا بِلي " .

أصّر بِلي على قوله : " مجرد برد خفيف ، كما قلت . إذهب وتناول بعض الفطور ثم عد الى المدرسة . سأعتني به " .

– " لكنك قد تضطر الى القيام بعمل آخر . قد تتركه " .

– " لا ، لن أتركه أبداً . غداً السبت . عندئذٍ تستطيع البقاء معه طيلة النهار " . فشل بِلي مرة أخرى ، فتعكر مزاجه لذلك . يجب أن يشفي المهر الآن .

سار جودي متجهاً الى البيت واتخذ مكانه الى الطاولة وهو فاتر الهمة . كان البيض ولحم الخنزير بارداً ومشحماً ، لكنه لم يلاحظ هذا . أكل كميته المعتادة . لم يطلب حتى البقاء في البيت وعدم الذهاب الى المدرسة . دفعت أمه شعره الى الخلف حين أخذت طبقه . طمأنته : " سيعتني بِلي بالمهر " .

تسكع طيلة الوقت في المدرسة مضيعاً وقته . لم يستطع أن يجيب على أية أسئلة ولا أن يقرأ أية كلمة . لم يستطع حتى أن يخبر أي شخص بأن المهر كان مريضاً ، فقد كان هذا سيزيد من مرضه . وحين خرج الأولاد من المدرسة أخيراً اتجه الى البيت وهو خائف . مشى ببطء وترك الأولاد الآخرين يتركونه وحيداً . تمنى لو واصل السير وألاّ يصل الى المزرعة أبداً .

كان بِلي في الحظيرة ، كما وعده ، وكانت حال المهر أسوأ . عيناه مغمضتان تقريباً ، وأنفاسه تصفر بحدة مجتازة عقبة في أنفه . وغطى شريط رقيق ذلك الجزء من عينيه الذي كان ظاهراً . كان من المشكوك فيه إنْ كان المهر قادراً على أن يرى . ومن وقت الى آخر شخر ، لينظف أنفه ، وبدا أنه يسده سداً أكثر إحكاماً بفعله هذا . نظر جودي بروح معنوية هابطة الى فروة جلد المهر . امتد شعره خشناً وأشعث وبدا أنه فَقَدَ كل لمعانه القديم . وقف بِلي

بهدوء الى جانب المربط . كره جودي أن يسأل ، لكنه كان لا بد أن يعرف .

- " بِلي ، هل - هل ستتحسن صحته ؟ "

وضع بِلي أصابعه بين القضبان تحت فك المهر وتحسس ما يحيط به . قال : " تحسس هنا " وأرشدَ أصابعَ جودي الى كبتولة كبيرة تحت فكه . " حين تكبر هذه ، سأفتحها ومن ثم يتحسن " .

أشاح جودي بنظره بعيداً بسرعة ، فقد سمع عن تلك الكبتولة . " ما الذي يشكو منه ؟ "

لم يرد بِلي أن يجيب ، لكنه لا بد أن يجيب . لا يمكنه أن يخطىء ثلاث مرات . قال بإيجاز : " حمى الخيل . لكن ، لا تقلق لهذا . سأخرجه منها . لقد رأيت خيلاً تتحسن صحتها وهي في حال أسوأ من حال جابيلان . سأبخره الآن . يمكنك المساعدة " .

قال جودي ببؤس : " نعم " . تبع بِلي الى داخل غرفة الحبوب وراقبه يعد كيس التبخير . كان كيساً أبيض من القنب به أشرطة ربط تلف أذني الحصان . ملأ بِلي ثلثه بالنخالة ثم أضاف اليها بضع حفنات من حشيشة الدينار الجافة . فوق المادة الجافة صب قليلاً من حامض الكربوليك وقليلاً من التربنتين . قال بِلي : " سأمزجها كلها بينما تجري أنتَ الى البيت واجلب إبريق ماء غالٍ " .

حين عاد جودي بالإبريق النافث بخاراً ، ربط بِلي الأشرطة حول رأس جابيلان وثبت الكيس تثبيتاً محكماً حول أنفه . ثم من خلال ثقب صغير في جانب الكيس صب الماء الغالي على المزيج . جفل المهر متراجعاً حالما أخذت سحابة بخار قوية تتصاعد ، لكن الأدخنة المهدئة سرعان ما زحفت متخللةً أنفه الى رئتيه ، وأخذ البخار الحاد ينظف الممرات الأنفية . تنفس بصوت عالٍ . ارتعدت قوائمه من الألم المبرح ، وأغمضت عيناه أمام السحابة

اللاسعة . صب بِلي المزيد من الماء وأبقى البخار يتصاعد عالياً مدة خمس عشرة دقيقة . أخيراً ، وضع الإبريق وأبعد الكيس عن أنف جابيلان . بدا المهر في حال أفضل . تنفس بحرية ، وانفتحت عيناه على نحو أوسع مما كانتا في السابق .

قال بِلي : " ترى كيف حسن هذا من حاله . سنلفه الآن بالبطانية ثانية . قد تتحسن حاله بحلول الصباح تقريباً " .

اقترح جودي : " سأبقى معه الليلة " .

- " لا ، لا تبقَ . سأجلب أغطيتي الى هنا وسأضعها في القش . يمكنك البقاء غداً وتبخيره إذا احتاج الى هذا " .

كان المساء يهبط حين ذهب الى البيت لتناول العشاء . لكن جودي لم يلاحظ أن شخصاً آخر كان قد أطعم الدجاج وملأ صندوق الحطب . اجتاز البيت الى خط الأجمة وتناول جرعة ماء من الحوض . كان ماء النبع بارداً جداً الى درجة أنه لسع فمه وأثار رعشة فيه . كانت السماء فوق التلال لا تزال منيرة . رأى صقراً يطير على علو شاهق حتى أنه أمسك بالشمس في صدره وتلألأ كشرارة . كان طائران أسودان يدفعان به الى أسفل السماء ، متلألئين وهما يهاجمان عدوهما . في الغرب ، كانت السحب تتحرك مقتربة لتمطر ثانية .

لم يتكلم أبو جودي قط والعائلة تتناول العشاء ، لكن كارل تِفلِن أشعل ناراً كبيرة في المدفأة وراح يروي قصصاً بعد أن أخذ بِلي بك أغطيته وذهب لينام في الحظيرة . روى قصة الرجل المتوحش الذي كان يجري عارياً في طول البلاد وعرضها وله ذيل وأذنان كحصان ، وروى قصة قطط أرانب مورو كوجو التي تنط على الأشجار بحثاً عن الطيور . أحيا قصة الأخوين ماكسويل المشهورين اللذين وجدا عِرق ذهب وأخفيا آثاره بحرص حتى لا يجده أحد أبداً .

جلس جودي وذقنه في يديه ؛ وفمه يتحرّك بعصبية وشيئاً فشيئاً تبين أبوه بأنه لم يكن يصغي بانتباه . سأله : " أليست تلك قصة

مضحكة ؟ "

ضحك جودي تأدباً وقال : " نعم يا سيدي " . غضب أبوه وجرح شعوره عند ئذ . لم يرو أية قصص أخرى . بعد وهلة ، أخذ جودي قنديلاً وذهب الى الحظيرة . كان بِلي بَكْ نائماً على القش ، وبدا المهر أحسن كثيراً ما عدا نَفَسه الذي كان يصر صريراً خفيفاً في رئتيه . فبقي جودي لبعض الوقت هناك ، مجرياً أصابعه فوق جلد المهر الأحمر ، وبعدئذ أخذ القنديل وعاد الى البيت . حين كان في الفراش ، دخلت أمه الغرفة .

- " هل عليكَ ما يكفي من أغطية ؟ الطقس أخذ يميل نحو الشتاء " .

- " نعم يا سيدتي " .

- حسناً ، استرح قليلاً الليلة .

ترددت في الخروج ، وقفت غير متيقنة . ثم قالت : " سيكون المهر على خير حال " .

كان جودي تعباً . استغرق في النوم بسرعة ولم يستيقظ إلاّ عند الفجر . دوى صوت المثلّث ، وظهر بِلي بَكْ قادماً من الحظيرة قبل أن يخرج جودي من البيت .

سأله جودي : " كيف حاله ؟ "

ابتلع بِلي إفطاره كذئب كما يفعل دائماً . " حسنة جداً . سأفتح تلك الكبتولة هذا الصباح . وقد تتحسن حاله " .

بعد الإفطار ، أخرج بِلي أفضل سكين لديه ، سكين برأس إبرة . شحذ النصل اللامع مدة طويلة على حجر كاربوروندوم صغير للتجليخ . جرب حافة السكين ونصلها مرات عديدة على بطة إبهامه المتصلبة ، ثم جربها أخيراً على شفته العليا .

في طريقه الى الحظيرة لاحظ مدى ارتفاع العشب الصغير وكيف أخذت الجذامات تذوب يوماً بعد آخر متحولة الى محصول بري جديد أخضر . كان صباحاً مشمساً بارداً .

حالما رأى جودي المهر ، عرف أنه في حال أسوأ . كانت عيناه مغمضتين ومطبقتين بمخاط جاف . وتدلى رأسه منخفضاً انخفاضاً كبيراً الى حد أن أنفه كاد أن يمس قش فرشته . وصدر أنين ضعيف مع كل نَفَس يلتقطه ، كان أنين مريض غارق في المرض ..

رفع بِلي رأس المهر الضعيف وضرب ضربة سريعة قاطعة بسكينه . رأى جودي الصديدَ الأصفر ينبجس خارجاً . أمسك برأس المهر عالياً وبِلي ينظف الجرح ويمسحه بمرهم حامض الكربوليك الخفيف .

أكد له بِلي : " سيتحسن الآن . ذلك السم الأصفر هو ما يمرضه " .

نظر جودي الى بِلي بَكْ غير مصدق . " إنه مريض جداً " .

فكر بِلي مدة طويلة بما سيقوله . كاد أن يطلق تأكيداً طائشاً ، لكنه وفر على نفسه ذلك في آخر لحظة . قال أخيراً : " نعم ، إنه مريض جداً . لقد رأيت أمهراً أسوأ منه يشفون . إذا لم يصب بذات الرئة ، سنوصله الى بر الأمان . إبقَ معه . إذا ساءت حاله ، تعال الي " .

ظل جودي واقفاً الى جانب المهر خلال المدة الطويلة التي مضت على ترك بِلي له ، ممسداً إياه خلف أذنيه . لم يهز المهر رأسه بالطريقة التي كان يهزها بها حين كان في صحة جيدة . أصبح الأنين أثناء تنفسه يصبح أكثر خواءً .

نظر الكلب دَبل تري مَطْ الى داخل الحظيرة ، وذيله يتموج تموجاً مستفزاً ، وكان جودي ساخطاً سخطاً شديداً على صحته الحسنة حتى أنه التقط كتلة صلبة سوداء من أرضية الحظيرة وقذفه بها قاصداً إصابته . ابتعد دَبِل تري مَطْ نابحاً ليعالج قائمته المكدومة .

عاد بِلي بَكْ في منتصف الصباح وعمل كيس بخار آخر . راقب جودي العمل ليرى إنْ كانت صحة المهر ستتحسن هذه المرة كما

تحسنت في المرة السابقة . خف ثقل تنفسه قليلاً ، لكنه لم يرفع رأسه .

مضى يوم السبت متثاقلاً . في ساعة متأخرة من بعد الظهر ذهب جودي الى البيت وأحضر فراشه وأعد مكاناً لينام على التبن . لم يطلب إذناً بذلك . عرف من طريقة نظر أمه إليه أنها ستسمح له بفعل أي شيء . وفي تلك الليلة تُرك قنديلاً يشتعل على سلك في حجيرة المربط . طلب منه بِلي أن يدلك أرجل المهر بين كل وهلة قصيرة وأخرى .

في الساعة التاسعة ، علا صوت الريح وأعولت حول الحظيرة . ورغم قلقه أحس بالنعاس . إلتف بأغطيته ونام ، لكن أنين المهر المنطلق مع أنفاسه تردد في أحلامه . وأثناء نومه سمع صوت تهشيم تتابع باستمرار الى أن أيقظه . كانت الريح تندفع داخل الحظيرة . فز واقفاً ونظر الى صف المرابط . كان باب الحظيرة قد فتح بعنف ، والمهر قد خرج .

حمل القنديل وجرى الى الخارج نحو البوابة ، فرأى جابيلان يسير سيراً متثاقلاً ضعيفاً مبتعداً في الظلام ورأسه منكس ، وأرجله تتحرك ببطء حركة آلية . حين لحق به جودي وهو يجري وأمسك به من شعر ناصيته ، سمح له في أن يقوده ليعود به الى الحظيرة ويدخله الي مربطه . كانت أناته أعلى صوتاً ، وخرج صفير عنيف من أنفه . لم يعد جودي للنوم عند ئذ . وتعالى صوت أنفاس المهر أعلى فأعلى وأكثر حدة شيئاً فشيئاً .

أحس بالسرور حين دخل بِلي بَكْ الحظيرة عند الفجر . نظر بِلي لبعض الوقت الى المهر كأنه لم يره من قبل . تحسس أذنيه وخاصرتيه . قال : " جودي . يجب أن أقوم بعمل لن تحب أن تراه . إذهب الى البيت وابقَ هناك لوهلة " .

أمسك جودي بساعده بقوة . " لن تطلق عليه النار ؟ "

ربت بِلي على يده . " لا . سأفتح ثقباً صغيراً في قصبته الهوائية حتى يستطيع أن يتنفس . إن أنفه مسدود . وحينما تتحسن صحته

، سنَضَع زراً نحاسياً في الثقب حتى يتنفس من خلاله " .

ما كان جودي يستطيع مغادرة الحظيرة لو أراد ذلك . كان رهيباً أن يرى الجلد الأحمر يقطع ، لكنه سيكون أرهب له أن يعرف أنه يقطع ولا يراه وهو يقطع . قال بمرارة : " سأبقى هنا . أنتَ متأكد من أنك يجب أن تفعل ذلك ؟ "

- " نعم . أنا متأكد . إذا بقيت ، يمكنك أن تمسك برأسه . إذا لم يُغثك هذا ، تلك هي الحال " .

أخرج السكين الدقيقة ثانيةً وشحذها ثانيةً بنفس العناية التي شحذها بها في المرة الأولى . أمسك جودي رأس المهر ورفعه فانشد الحلق ، بينما تحسس بِلي رقبته في الأعلى والأسفل بحثاً عن المكان الصحيح . نشج جودي باكياً حالما اختفى رأس السكين الحاد في الحلق . جفل المهر جفولاً ضعيفاً ثم وقف ساكناً ، مرتعشاً بعنف . انبجس الدم جارياً بغزارة الى أعلى السكين وعلى يد بِلي والى داخل كم قميصه . قصت اليد العريضة القوية ثقباً مستديراً في اللحم ، فخرجت الأنفاس مندفعةً من الثقب ، قاذفةً رشاش دم دقيق . مع اندفاع الأكسجين ، اكتسب المهر قوة فجائية . ساط قدميه الخلفيتين وحاول التراجع ، لكن جودي أمسك رأسه وخفضه بينما مسح بِلي الجرح الجديد بمرهم الكاربوليك . كان عملاً جيداً . توقف الدم عن التدفق واندفع الهواء خارج الثقب وانسحب داخله بانتظام مصدراً صوت بقبقة ضعيف .

أخذ المطر الذي دفعته الريح الليلية يسقط على سطح الحظيرة . ثم رن المثلث داعياً الى الإفطار . قال بِلي : " إذهب وكل بينما سأنتظر أنا هنا . يجب أن نمنع هذا الثقب من الانسداد " .

خرج جودي من الحظيرة وهو يمشي ببطء . كان كئيباً جداً الى درجة أنه لم يخبر بِلي كيف انفتح باب الحظيرة وخرج المهر منه . خرج الى الصباح الماطر الرمادي وخوض متجهاً الى البيت ، شاعراً بسرور غريب في طرطشة الماء في كل البرك . أطعمته أمه وألبسته ملابس جافة . لم تطرح عليه أسئلة . بدا أنها تعرف أنه

لن يستطيع الإجابة على الأسئلة . لكنه حين استعد للعودة الى الحظيرة ، أحضرت له مقلاةً فيها وجبة طعام ينفث بخاراً . قالت : " أعطِه هذه " .

لكن جودي لم يأخذ المقلاة . قال : " لن يأكل شيئاً " ، وجرى خارجاً من البيت . في الحظيرة ، أراه بِلي كيف يثبت كرة قطن على عصا ويمسح بها ثقب التنفّس وينظّفه حين يسده المخاط .

دخل أبو جودي الحظيرة ووقف معهما أمام المربط . أخيراً ، التفت الى الفتى . " ألا يحسن أن تأتي معي ؟ سأصعد التل " . هز جودي رأسه . أصر أبوه . " يحسن أن تأتي ، أن تخرج من هذا المكان " .

التفت بِلي اليه بغضب . " دعه وشأنه . إنه مهره ، أليس كذلك ؟ "

ابتعد كارل تِفلِن دون أن ينبس بأية كلمة أخرى . فقد جرحت مشاعره جرحاً بليغاً .

طيلة الصباح أبقى جودي الجرح مفتوحاً ، فكان الهواء يندفع داخلاً وخارجاً بحرية . عند الظهر تمدّد المهر تعباً على الأرض على جنبه ومد أنفه .

عاد بِلي . قال : " إنْ كنت ستبقى معه الليلة ، فيحسن أن تغفو غفوة قصيرة " . خرج جودي من الحظيرة شارد الذهن . كانت السماء قد صفت وأصبحت زرقاء زرقة رقيقة قاسية . وفي كل مكان انشغلت الطيور بالديدان التي صعدت الى سطح الأرض الرطبة .

مشى جودي الى خط الأجمة وجلس على حافة الحوض الطحلبي . نظر الى أسفل نحو البيت والى مرقد العمال والى شجرة السرو الداكنة . كان المكان مألوفاً لديه ، لكنه متغيّر على نحو غريب . لم يعد نفس المكان ، بل إطاراً لأحداث تقع فيه . هبت ريح باردة من الشرق الآن ، دالةً على أن المطر قد توقف

لفترة قصيرة . عند قدمية رأى جودي أذرعاً قصيرة من أعشاب جديدة تنتشر على الأرض . وفي العشب حول النبع تناثرت آلاف من آثار طيور السمان .

اقترب دبِل تري مَطْ متسللاً ومرتبكاً في أرض الخضار ، فمد جودي ، متذكراً كيف قَذَفه بكتلة الطين ، ذراعَه واحتضن رقبة الكلب وقبله في أنفه العريض الأسود . جلس دَبِل تري مَطْ ساكناً كأنه يعرف أن أمراً خطيراً كان يحدث . صفع ذيله الكبير الأرض بحزن . سحب جودي قرادة منتفخة من رقبة مَطْ وهرسها بين أظفريّ إبهاميه حتى ماتت . كان عملاً قذراً . فغسل يديه في ماء النبع البارد .

كانت المزرعة هادئة جداً باستثناء حفيف الريح السريع المطرد . عرف جودي أن أمه لن تبالي إذا لم يأتِ ليأكل غدائه . بعد وهلة وجيزة ، ذهب بطيء الخطى الى الحظيرَة . وزحف مَطْ الى بيته الصغير وأنّ برقة لنفسه مدةً طويلة .

نهض بِلي بَكْ واقفاً من حجيرة المربط وسلمه قطعة القطن . كان المهر لا يزال مستلقياً على جنبه وجرح رقبته يصعد ويهبط بانتظام . حين رأى جودي كيف بدا الشعر جافاً ومثنياً ، عرف أخيراً أنه لم يبقَ أمل للمهر . لقد رأى الشعر الميت من قبل على الكلاب والأبقار ، وكانت هذه علامة أكيدة . جلس متثاقلاً على الصندوق وأنزل حاجز حجيرة المربط . ركز عينيه مدة طويلة على الجرح المتحرك ، وأخيراً غلبه النعاس فنام ، ومر بعد الظهر سريعاً . قبل حلول الظلام تماماً أحضرت أمه طبقاً عميقاً من الخضار المطبوخة وتركته له وغادرت المكان . أكل جودي القليل منه ، وحين حل الظلام ، وضع القنديل على أرضية الحظيرة قرب رأس المهر حتى يمكنه مراقبة الجرح وإبقائه مفتوحاً . وغلبه النوم ثانية الى أن أيقظه برد الليل . كانت الريح تهب بعنف جالبة البرد الشمالي معها . أحضر جودي بطانية من فراشه على القش ولف

نفسه بها . أصبح تنفس جابيلان هادئاً أخيراً ، وتحرك الثقب في حلقه بلطف . طارت البومات في مخزن التبن زاعقة باحثة عن فئران . ووضع جودي يديه على رأسه ونام . أثناء نومه شعر بأن الريح قد زادت عصفاً . سمعها تصطفق في أرجاء الحظيرة .

كان النهار قد طلع حين استيقظ . كان باب الحظيرة مفتوحاً . والمهر في الخارج . فز واقفاً وجرى خارجاً ليواجه نور الصباح .

كانت آثار المهر واضحة تماماً ، مجرورة خلال الندى الشبيه بالصقيع على العشب القصير ، آثار تعبة بخطوط قصيرة انجرت بينها الحوافر . اتجهت نحو خط الأجمة في منتصف المسافة الصاعدة الى مَتْن التل . اندفع جودي جارياً وتبعها . تلألأت الشمس على صخر الـ كورتز الأبيض الحاد الذي انغرز في سطح الأرض هنا وهناك . فيما هو يتابع الآثار الواضحة ، سقطت أمامه ظلال . رفع نظره فرأى دائرة عالية من طيور الحدأة السوداء ، والدائرة بطيئة الدوران تهبط الى أسفل شيئاً فشيئاً . سرعان ما اختفت الطيور المهيبة فوق متن التل . جرى جودي بخطى أسرع حينذاك ، وقد حث الفزع والغيظ خطاه . دخلت الآثار الأجمة أخيراً وتبعت طريقاً ملتوياً بين شجيرات المريمية الطويلة .

عند قمة متن التل ، دار جودي . وقف ، مطلقاً نفخات ضاجة . خبط الدم في أذنيه . ثم رأى ما كان يبحث عنه . في الأسفل تحت ، في إحدى بقع الأرض الفضاء في الأجمة ، تمدد المهر الأحمر . رأى جودي من بعيد الأرجلَ تتحرك ببطء وبحركة تشنجية . وفي دائرة حوله ، وقفت طيور الحِدأة ، منتظرة لحظة الموت التي تعرفها تماماً .

قفز جودي الي الأمام وغطس هابطاً التل . كتم سطح الأرض المبللة صوت خطواته وأخفته الشجيرات . حينما وصل ، كان كل شيء قد انتهى . جثم طائر الحِدأة الأول على رأس المهر وارتفع منقاره في تلك اللحظة وسائل عين داكن يقطر منه . اندفع جودي داخلاً الدائرة كقط . ارتفعت الأخوة السوداء مكوّنة سحابة ،

لكن الطائر الكبير الجاثم على رأس المهر كان متأخّراً . حالما حاول الطائر أن يثب الى الأمام ليقلع ، أمسك جودي بطرف جناحه وسحبه الى أسفل . كان حجمه يكاد يبلغ حجم جودي . فصدم الجناح الطليق وجه جودي بقوة هراوة ، لكن جودي ظل معلقاً بالطائر . ثبت المخلبان على رِجل جودي وانهالت أطراف الجناح على رأس جودي من كلا جانَبيه . تحسس جودي بيده الطليقة تحسساً أعمى . فعثرت أصابعه على رقبة الطائر المصارع . نظرت العينان الحمراوان في وجهه ، نظراتٍ هادئة جريئة وعنيفة ؛ ودار الرأس العاري من جانب الى آخر . ثمّ انفتح المنقار وتقيأ سيلاً من سائل عفن . رفع جودي ركبته وسقط على الطائر الضخم . ثبت الرقبةَ بالأرض بإحدى يديه بينما عثرت يده الأخرى على قطعة حجر كوارتز أبيض حاد . كسرت الضربةُ الأولى المنقار من جانبه ، فانبجس دم أسود من ركنيّ الفم الجلديّ الملتوي . ضرب مرة أخرى وأخطأ . ظلت العينان الحمراوان غير الخائفتين تنظران إليه ، كانتا مجردتين من الشخصية وغير خائفتين وذاهلتين . ضرب مرات عديدة حتى تمدد الطائر ميتاً ، حتى أصبح رأسه عجينة حمراء . كان لا يزال يضرب الطائر الميت حين سحبه بِلي بَكْ عنه وأمسك به بإحكام ليهدىء من اهتزازه .

مسح كارل تِفلِن الدم عن وجه الفتى بمنديل أحمر كبير . استرخى جودي وهدأ الآن . دفع أبوه طائر الحدأة بإصبع قدمه . أوضح : " جودي . لم تقتل الحِدأة المهر . ألَا تعرف ذلك ؟ "

قال جودي وهو منهك القوى : " أعرف هذا " .

كان بِلي بَكْ هو الغاضب . رفع جودي بذراعيه ودار ليحمله الى البيت . لكنه التفت الى كارل تفلِن . قال بِلي بعنف : " إنه يعرف هذا طبعاً وحق المسيح ! ألَا ترى أيها الرَجل ما يحس به حيال هذا ؟ "

II

الجبال الشاهقة

أثناء طنين حرارة بعد ظهر يوم منتصف صيف ، أجال الفتى جودي نظره في المزرعة بفتور همّة بحثاً عن عمل يقوم به . كان في الحظيرة ، فرمى حجارة على أعشاش العصافير تحت الأطناف الى أن انفتح كل بيت طين صغير وأسقط بطانة قشه وريشه القذر . ثم وضع طُعماً من جبن بائت في فخ جرذان في بيت المزرعة وأعده في مكان يطبق فيه على أنف دبِل تري مطّ ، ذلك الكلب الضخم الطيب . لم يدفع جودي أي دافع قسوة لفعل ذلك ، بل كان ضجراً من بعد ظهر اليوم الطويل الحار . ووضع دبِل تري مَطْ أنفه الغبيّ في الفخ فأطبق عليه ، فزعق بألم مبرح وظَلَّع مبتعداً والدم يسيل على منخريه . فأينما تكون البقعة التي تصاب بالأذى في جسم مطّ ، يروح يظلع . إنها طريقته الخاصة . ذات مرة حين كان صغيراً ، انحشر في فخ ذئب قيوط ، وبعد ذلك صار يظلع دائماً ، حتى حين يوبخ .

حين نبح مطّ ، نادت أم جودي من داخل البيت : " جودي ! توقف عن تعذيب ذلك الكلب وابحث عن شيء تفعله " .

أحس جودي بحقارته حينذاك ، فرمى حجراً على مَطْ . ثم أخذ نقافته من شرفة المدخل وصعد نحو خط الأجمة محاولاً قتل

طائر . كانت نقافة جيدة لها مطاط اشتراه من الدكان ، ومع أن جودي استعملها كثيراً في إطلاق الحجارة على الطيور ، إلاّ أنه لم يصب أياً منها قط . عبر أرض الخضار ، راكلاً أصابع قدميه الحافيتين في التراب . في الطريق ، عثر على الحجر المناسب لنقافته ، حجراً مستديراً منبسطاً قليلاً وثقيلاً ثقلاً يسمح له بالاندفاع في الهواء . وضعه في جرابه الجلديّ المخصص لسلاحه وتابع السير الى خط الأجمة . ضاقت عيناه ، وراح فمه يعمل بنشاط متقد ؛ فلأول مرة بعد ظهر ذلك اليوم كان مصمماً . في ظل شجيرة المريمية ، كانت الطيور الصغيرة تعمل ، نابشةً بين أوراق الشجر ، طائرةً بلا استقرار بضع أقدام ونابشةً مرة أخرى . جذب جودي مطاط النقافة الى الخلف وتقدم حذراً . وقف طائر سمان صغير ساكناً ونظر اليه ثم جثم ساكناً ، مستعداً للطيران . تسلل جودي مقترباً منه ، محركاً قدماً واحدةً بعد الأخرى ببطء . حين وصل الى بعد عشرين قدماً منه ، رفع النقافة بحذر وسدد . أزّ صوت الحجر ؛ وشرع السمان يعلو وطار نحو الحجر . وسقط الطائر الصغير على الأرض ورأسه مكسور . جرى جودي نحوه والتقطه .

قال : " حسناً ، أمسكت بك " .

بدا الطائر وهو ميت أصغر كثيراً مما كان وهو حي . أحس جودي بألم طفيف مزعج في معدته ، فأخرج سكين جيب وقطع رأس الطائر ، ثم أخرج أحشاءه ، ونزع جناحيه ؛ وأخيراً رمى كل القطع في الأجمة . لم يهتم بالطائر ، أو بحياته ، لكنه يعرف ما سيقوله الناس الكبار لو أنهم رأوه يقتله ؛ لقد كان خجلاً من رأيهم المحتمل . قرر أن ينسى الأمر كله بأسرع وقت ممكن ، وألاّ يذكره أبداً .

كانت التلال جافة في هذا الفصل ، والعشب البري ذهبياً ، لكن بقعة عشب أخضر عميقة الخضرة وجميلة ورطبة امتدت في المكان الذي تملأ فيه أنبوبة الينبوع الحوض المستدير وينسكب فيه

الماء بعد أن يفيض . شرب جودي من الحوص الطحلبي وغسل دم الطائر عن يديه بالماء البارد . ثم تمدد على ظهره على العشب ورفع نظره الى سحب الصيف المتراكمة . بإغماض إحدى عينيه وبتحطيم المنظور الطبيعي أنزل تلك السحب الى أسفل الى متناولِ يده فاستطاع أن يرفع أصابعه نحوها ويمسدها . ساعد الريح اللطيفةَ على دفعها لتنزلِ الى أسفل السماء ؛ بدا له أنها أخذت تسرع لمساعدته لها . ساعدَ سحابةً سمينة بيضاء على الابتعاد نحو حفافي الجبل وضغطها بقوةٍ لتندفع الى الأعلى وتختفي عن الأنظار . تساءل جودي مستغرباً عما كانت تراه حينذاك . اعتدل جالساً ليلقي نظرة أوضح على الجبال الشاهقة الى حيث كانت تتراكم متراجعةً ، تزداد إظلاماً ووحشية الى أن تنتهي في متنٍ مشرشر الحواف ، عالياً قبالة الغرب . جبال سرية غريبة ؛ فكّر بالقليل الذي يعرفه عنها .

سأل أباه ذات مرة : " ماذا يوجد في الجانب الآخر ؟ "

- " جبال أخرى ، على ما أظن . لماذا ؟ "

- " وفي الجانب الآخر منها ؟ "

- " جبال أخرى . لماذا ؟ "

- " جبالٌ أخرى بعدها وبعدها ؟ "

- " حسناً ، لا . أخيراً تصل الى المحيط " .

- " لكن ماذا يوجد في الجبال ؟ "

- " جروف وأجمات وصخور وجفاف " .

- " هل وصلتَ الى هناك ؟ "

- " لا " .

- " هل وصل أي إنسان الى هناك ؟ "

- " قليل من الناس ، على ما أظن . هي خطيرة بجروفها وأشيائها . لماذا ، لقد قرأت بأن في جبال مقاطعة مونتيري أراض لم تستكشف بعد تزيد مساحتها عن مساحة أية أراض أخرى في أي مكان في الولايات المتحدة " .

بدا أبوه فخوراً في أن الوضع لا بد أن يكون كذلك .
- " وأخيراً المحيط ؟ "
- " أخيراً المحيط " .
تابع الفتى ملحاً : " لكن ، لكن فيما بينها ؟ لا أحد يعرف ؟ "
- " أوه ، قليل من الناس يعرفون على ما أظن . لكن لا يوجد ما تصل اليه . ولا يوجد الكثير من الماء . مجرد صخور وجروف وغابات الأشجار الشوكية . لماذا ؟ "
- " سيكون حسناً أن نذهب إليها " .
- " ما الداعي ؟ لا يوجد شيء هناك " .
عرف جودي أن هناك شيئاً ، شيئاً مدهشاً جداً لإنه لم يكن معروفاً ، شيئاً سرياً وغامضاً . إنه يحس إحساساً داخلياً بأن الأمر كان كذلك . قال لأمه : " هل تعرفين ماذا يوجد في الجبال الشاهقة ؟ "
نظرت إليه ثم أعادت النظر الى سلسلة الجبال الوحشية ، وقالت : " الدب فقط ، على ما أظن " .
- " أي دب ؟ "
- " لماذا ، الدب الذي صعد الجبل ليرى ما يمكن أن يراه " .
سأل جودي بِلي بَكْ ، العامل في المزرعة ، عن احتمال وجود مدن قديمة ضاعت في الجبال ، لكن بِلي اتفق مع أبي جودي .
قال بِلي : " ليس هذا محتملاً . لا يوجد ما يؤكل هناك ، إلاّ إذا عاش هناك نوع من البشر يأكلون الصخور " .
تلك كانت كل المعلومات التي حصل عليها جودي طيلة حياته ، وقد حببت إليه الجبال وجعلتها رهيبة . فهو كثيراً ما فكر بأميال من متن جبلٍ وراء متن جبل الى أن يمتد البحر أخيراً . حين تكون القمم وردية في الصباح تدعوه ليعيش بينها : وحين تختفي الشمس وراء حافة الجبال في المساء وتصبح الجبال يأساً شبيهاً باللون الأرجواني ، يخاف جودي منها ؛ كما تصبح حينئذ عديمة الشخصية متعالية جداً الى درجة أن هدوءها يصبح تهديداً .

أدار رأسه الآن نحو جبال الشرق ، جبال جابيلان ، فكانت جبالاً مرحة تمتد في ثناياها مزارع تلال ، وتنمو على قممها أشجار صنوبر . لقد عاش ناس هناك ، ونشبت معارك ضد المكسيكيين على منحدراتها . التفت ونظر الى الجبال الشاهقة للحظة فارتعش قليلاً عند رؤيته التباين . كان حوض منحدر تل مزرعة بيتهم الممتد تحته مشمساً وآمناً . وتوهج البيت بنور أبيض وكانت الحظيرة بنية ودافئة . التهمت الأبقار الحمراء على التل النامي عشبة وهي تتجه نحو الشمال ببطء . حتى شجرة السرو الداكنة المنتصبة قرب مبنى مرقد العمال كانت عادية وآمنة . ونبش الدجاج تراب ساحة المزرعة قافزاً قفزات سريعة مهتاجة .

ثم اجتذب جسم متحرك أنظار جودي . فقد سار رجل ببطء فوق مقدمة التل على الطريق من ساليناس ، وكان يتجه نحو البيت . نهض جودي واقفاً وتقدم نحو البيت أيضاً ، فإن كان هناك شخص قادماً ، فهو يريد أن يكون هناك ليراه . في الوقت الذي وصل فيه جودي الى البيت ، كان الرجل الماشي قد وصل الى منتصف الطريق ، وكان رجلاً هزيلاً ، مستقيم الظهر عند الكتفين . عرف جودي أن الرجل كان عجوزاً لإن عقبيه كانا يضربان الأرض برجات قوية . حين اقترب أكثر ، رأى جودي أنه يرتدي بنطال جينز أزرق ومعطفاً من نفس القماش . وينتعل حذاءً ريفياً ضخماً غليظاً ويعتمر قبعة ستتسون قديمة منبسطة الحافة . ويحمل فوق كتفه كيس خيش ، ثقيل وملىء . بعد بضع لحظات ، تهادى مقترباً الى حد مكنه من رؤية وجهه . كان وجهه داكناً كلحم بقر جاف . وحلق شارب أبيض مزرق فوق فمه على بشرة سمراء داكنة ، وكان شعره أبيض أيضاً ، وقد بان عند رقبته . انكمشت بشرة وجهه على جمجمته الى أن أظهرت عظامه ، لا لحمه ، فبدا الأنف والذقن حادين وهشين . كانت العينان كبيرتين وعميقتين وداكنتين ، وقد امتد الجفنان فوقهما بإحكام . كانت

الحدقتان والبؤبؤان شيئاً واحداً ، وسوداً تماماً ، لكن مقلتي العينين كانتا عسليتين . لم تكن في الوجه تغضنات إطلاقاً . وقد ارتدى هذا الرجل العجوز معطفاً من قماش دينيم مزرر حتى حلقه بأزرار نحاس ، كما كان يفعل كل الرجال الذين لا يرتدون قمصاناً . ومن الكمين برز معصمان عظميان قويان ويدان كثيرتا العقد وصلبتان صلابة فروع أشجار خوخ . أما الأظافر فكانت منبسطة وكليلة ولامعة .

اقترب الرجل العجوز من البوابة ورمى كيسه على الأرض حين واجه جودي . ارتعشت شفتاه قليلاً وصدر من بينهما صوت غير مميز الشخصية .

- " أتقيم هنا ؟ "

ارتبك جودي . ثم التفت ونظر الى البيت ، وعاد والتفت ثانية ونظر نحو الحظيرة حيث كان أبوه وبلي بك . قال حين لم تصله أية نجدة من أيّ من الاتجاهين : " نعم " .

قال الرجل العجوز : " لقد عدت . أنا جيتانو ، وقد عدت " .

لم يستطيع جودي أن يتحمل كل هذه المسؤولية . استدار فجأة وجرى داخلاً البيت طالباً العون ، فانصفق باب الستار خلفه بقوة . كانت أمه في المطبخ تنكش الثقوب المسدودة في مصفاة الطهي بدبوس شعر فتفتحها ، عاضة شفتها السفلى مركزة على عملها .

صاح جودي منفعلاً : " إنه رجل عجوز . إنه فلاّح paisano عجوز ، ويقول إنه عاد " .

وضعت أمه مصفاة الطهي وغرزت دبوس الشعر خلف لوح حوض غسيل الأطباق . سألت بنفاذ صبر : " ما الأمر الآن ؟ "

- " إنه رجل عجوز في الخارج . أخرجي " .

حلت خيوط مئزرها ومسدت شعرها بأصابعها . " حسناً ، ماذا يريد ؟ "

- " لا أعرف . جاء ماشياً " .
مـسـدت أمه فستانها وخرجت ، وتبعها جودي . لم يكن جيتانو قد تحرك .
سألت السيدة تِفلِن : " نعم ؟ "
خلع جيـتـانو قـبـعـته السوداء القديمة وأمسك بها بكلتا يديـه أمامه . كرر القول : " أنا جيتانو ، وقد عدت " .
- " عدتَ ؟ عدتَ الى أين ؟ "
انحنى جـسـم جـيـتـانو المسـتقيم كله الى الأمام قليلاً ، ورسمت يده اليـمنى دائرة التـلال والحـقـول المنحـدرة والجبـال ، وأنهت يده حبركـتَها عند قبعته ثانية . " عدت الى الـ rancho / المزرعـة . لقد ولدت هنا ، وأبي أيضاً " .
سألته : " هنا ؟ ليس هذا مكاناً قديماً " .
قـال مـشيراً الى متن الجبل الغربي : " لا ، هناك . على الجانب الآخر هناك ، في بيت اختفى " .
فـهـمـت أخيراً . " بيت اللِبْن القـديم الذي انجـرف واخـتـفى تقريباً ، ذلك ما تعنيه ؟ "
- " نعم يا سِنيـورا . حين أفلست المزرعـة لم يضـعـوا المزيد من الكلس على اللِبن ، فجرفته الأمطار ودمرته " .
صـمـتت أم جـودي فترة قـصيرة ، وثارت أفكار حنين الى الوطن في ذهـنـهـا ، لـكنهـا سـارعت في إبعـادها . " ومـاذا تريد هنا يـا جيتانو ؟ "
قال بهدوء : " سأبقى هنا الى أن أموت " .
- " لكننا لا نحتاج الى عامل آخر هنا " .
- " لم أعـد أسـتطيع العـمل عملاً كاداً يا سِنيورا . يمكنني أن أحلب بقـرة ، أطعم دجـاجـاً ، أقطع قليـلاً من الحطــب ؛ ليس أكـثـر . سأبقى هنا " . أشـار الى الكيس المسـتقر على الأرض الى جانبه . " ها هي أشيائي " .
التـفتت الى جودي : " إجرِ الى الحظيرة واستدعِ أباك " .

اندفع جودي مبتعداً ثم عاد وكارل تِفلِن وبِلي بَكْ وراءه . كان الرجل العجوز يقف كما كان يقف في السابق ، لكنه كان مستريحاً الآن . تراخى جسمه كله في وقفة استراحة لا يحددها زمن .

سأل كارل تِفلِن : " ما الأمر ؟ ما الذي أثار انفعال جودي الى هذه الدرجة ؟ "

أشارت السيدة تِفلِن الى الرجل العجوز . " إنه يريد أن يبقى هنا . يريد أن يقوم بعمل بسيط ويبقى هنا " .

- " حسناً ، لا يمكننا قبوله . لسنا بحاجة الى عمال آخرين . إنه عجوز جداً . بِلي يقوم بكل ما نحتاجه " .

ظلا يتكلمان عنه كأنه لم يكن موجوداً ، والآن ، فجأة ترددا كلاهما ونظرا الى جيتانو فارتبكا .

سلّك حلقه . " شخت على العمل . وها أنا أعود الى حيث ولدت " .

قال كارل بحدة : " أنت لم تولد هنا " .

- " لا . في بيت اللِبْن فوق التل . كانت كلها مزرعة واحدة قبل أن تحضروا " .

- " في بيت اللِبْن الذي ذاب كله وسوي بالأرض ؟ "

- " نعم . أنا وأبي . سأبقى الآن هنا في المزرعة " .

قال كارل غاضباً : " أقول لك بأنك لن تبقى هنا . أنا لا أحتاج الى رجل عجوز . هذه ليست مزرعة كبيرة . ليس بإمكاني دفع ثمن طعام وفواتير طبيب لرجل عجوز . لا بد أن لك أقرباء وأصدقاء . إذهب إليهم . إن مجيئك الى غرباء أشبه بتسول " .

قال جيتانو بصبر ودون أن يلين : " لقد ولدت هنا " .

لم يرغب كارل تِفلِن في أن يكون قاسياً ، لكنه شعر أنه يجب أن يكون كذلك ، قال : " يمكنك الأكل هنا الليلة . يمكنك النوم في الغرفة الصغيرة في مبنى مرقد العمال القديم . سنقدم إليك طعام الإفطار في الصباح ، ثم لابد أن تتابع طريقك . إذهب الى أصدقائك . لا تأتِ لتموت مع غرباء " .

اعـتـمـر جـيتانو قبعته السوداء وانحنى على كيسه . قال : " ها هي أشيائي " .

اسـتـدار كـارل مـبـتـعـداً . " تعـال يا بِلي ، سننهي عملنا في الحظيرة . أرِه يا جـودي الغـرفةَ الصغيرة في مرقد العمال " .

اسـتـدار هو وبِلي وعادا الى الحَظيرة . دخلت السيدة تِفلِن البيت قائلة من فوق كتفها : " سأرسل بعض البطانيات " .

ألقى جـيتانو نظرة تساؤل على جودي . قال جودي : "سأريك أين تقع" .

كـان في الغـرفة الصغيرة في مرقد العمال سرير سفريّ عليه فرشة قش ، وصندوق تفـاح عليـه قنديل صفيح وكرسي هزاز بلا ظهر . وضع جيـتانو كيسه بعناية على الأرضية وجلس على السرير . وقف جـودي في الغـرفةِ خجلاً متردداً في مغادرة الغرفة . أخيراً ، قال :

- " هل جئتَ من الجبال الشاهقة ؟ "

هزّ جـيتانو رأسه ببطء : " لا . اشتغلت في وادي سالِيناس " .

مـا كـانَ سيسمح تفكير بعد الظهر في أن يغادر جودي الغرفة .

" هل ذهبتَ الى الجبال الشاهقة هناك ؟ "

ثبـتت العـينان الداكنتـان العـجـوزان ، وتحول نورهما الى الداخل وتركـزتا على السنين التي كـانت تعـيش في رأس جـيـتـانو . " مرة واحـدة - حين كنت فتى صغيراً . ذهبت مع أبي " .

- " الى هناك ، الى الجبال نفسها ؟ "

- " نعم " .

صـاح جـودي : " مـاذا كـان هـنـاك ؟ أرأيـتَ أي ناسٍ أو أية بيوت ؟ "

- " لا " .

- " حسناً ، ماذا كان هناك ؟ "

ظلت عـينا جيـتـانو تنظران الى داخله . تكوّن تغـضـن مـتـوتر طفيف بين حاجبيه .

كـرر جودي السؤال . " ماذا رأيتَ هناك ؟ "

قال جيتانو : " لا أعرف . لا أتذكر " .
- " هل كـان رهيباً وجافاً ؟ "
- " لا أتذكّر " .
أثناء انفعاله ، فقد جودي خجله . " ألا تتذكر شيئاً عنها ؟ "
انفـتح فم جـيتـانو ليـتكلم ، ظل مـفتوحاً بينما بحث عقله عن كلمات . " أظن أنها كانت هادئة - أظن أنها كانت رائعة " .
بدا أن عـيني جـيتـانو وجدتا شيئاً في السنين الخوالي ، فقد رقتا وبدا أن ابتـسامة صغيرة تحل فيهما وتخرج منهما .
ألح جودي بالسؤال : " هل عدت مرة أخرى الى الجبال ؟ "
- " لا " .
- " ألا تريد أن تذهب اليها ؟ "
لكن وجـه جـيتـانو أصـبح نافـد الصبر . قـال بلهـجة أفهمتْ جـودي بأنه لا يريد العـودة الى الخوض في هذا الموضوع . " لا " .
كـان سحر عجيب يأسر الفتى . لم يرغب في الابتعاد عن جيتانو . وعاوده خجله .
سـأله : " أتود أن تذهب الى الحظيرة وترى القطيع ؟ "
نهض جـيتانو واقفاً واعتمر قبعته واستعد ليتبعه .
كـان الوقت مـسـاءً تقـريبـاً . وقفا قرب قناة الريّ بينما خطرت الخـيل داخلةً المزرعـة من منحـدرات التـلال لتشرب في فترة المساء . أراح جـيـتانو يديه الملتويتين على قمة حاجز السياج . هبطت خمسة خـيـول وشربت ، ثم وقـفت في الجـوار ، قـاضـمـةً مـا تجمع من أوسـاخ ، وحـاكـة جنوبها على خشب السياج المصقول . بعد فترة طويلة من انتـهاء شربها ، ظهر حصان عجوز في مقدمة التل وهبط متألماً . كـانت له أسنان طويلة صـفـراء ، وكانت حوافرة منبسطة وحـادة كـرفـوش ، ونتأت أضلعـه وعظام ردفـيـه من تحت جلده . ظلَع مـتقدماً من قناة الري وشرب الماء بصوت ماص عال .
أوضح جـودي : " ذلك هو إيسـتِـر العـجوز . إنه أول حصـان حصل عليه أبي . هو في الثلاثين من عمره " . رفع نظره الى عيني

جيتانو العجوزين بحثاً عن إجابة .
قال جيتانو : " لم يعد نافعاً " .
خرج أبو جودي وبلي بَكْ من الحظيرة ومشيا نحوهما .
كرر جيتانو : " أكبر سناً من أن يستطيع العمل . يأكل فقط وسرعان ما سيموت " .
التقطت أذنا كارل تِفلِن الكلمات الأخيرة . كره قسوتَه على جيتانو ، لذلك قسا عليه مرة أخرى .
قال : " من العار ألاّ تطلق النار على إيستِر . ستنقذه الرصاصة من الكثير من الآلام والروماتزم " . استرق النظر الى جيتانو ليرى إنْ كان قد لاحظ التشابه ، لكن اليدين العظميتين الكبيرتين لم تتحركا ، كما لم تبعد العينان الداكنتان نظراتهما عن الحصان . تابع أبو جودي : " يجب أن تخلص الأشياء كبيرة السن من تعاستها . طلقة واحدة ، وضجة كبيرة ، وربما ألم شديد في الرأس ، وذلك كل شيء . ذلك أفضل من تصلّب الشرايين وتقرح الأسنان " .
تدخل بِلِي قائلاً : " من حقها أن تستريح بعد أن عملتْ طيلة حياتها . قد تحب أن تنتقل من مكان الى آخر فقط " .
ظل كارل يركز نظره على الحصان النحيل . قال برقة : " لا يمكنك تخيل كيف كان منظر إيستِر في السابق . رقبة عالية ، صدر عريض ، جذع بديع . كان باستطاعته القفز عن بوابة مصنوعة من خمسة قضبان بقفزة واحدة . لقد فزت به في سباق حين كنت في الخامسة عشرة من عمري . كان يمكنني الحصول على مائتي دولار ثمناً له في أي وقت . لا يمكنك تخيل كم كان جميلاً حينذاك " . كبح جماح نفسه ، فقد كان يكره الرقة . قال : " لكن يجب أن تُطلق عليه النار الآن " .
أصر بِلِي بَكْ على رأيه : " من حقه أن يستريح " .
خطرت في بال أبي جودي فكرة مرحة . التفت الى جيتانو . قال : " لو أن لحم الخنزير والبيض ينمو على منحدر تل ،

لسمحت لك بالانطلاق للرعي أيضاً . لكن ليست لدي إمكانية السماح لك بالرعي في مطبخي " .

ضحك لـ بلي بك على الفكرة وهما يتابعان سيرهما نحو البيت . " سيكون الوضع رائعاً بالنسبة إلينا كلنا لو نما لحم الخنزير والبيض على منحدرات التلال " .

عرف جودي أن أباه كان يتحسس المكان الذي يمكنه إيذاء العجوز فيه . كثيراً ما فعل أبوه هذا معه . فقد عرف أبوه كل جزء من الصبي يمكنه إزعاجه فيه بكلمة .

قال جودي : إنه يتكلم فقط . إنه لا يعني قوله عن إطلاق النار على إيستر . إنه يحب إيستر . كان أول حصان يملكه " .

غرقت الشمس خلف الجبال الشاهقة وهما يقفان هناك ، وران السكون على المزرعة . بدا أن جيتانو يألف المكان أكثر في المساء . أطلق صوتاً حاداً غريباً من شفتيه ومد إحدى يديه فوق السياج . سار إيستر العجوز متصلباً نحوه ، فربت جيتانو على الرقبة النحيلة تحت العرف .

سأل جودي برقة : " تحبه ؟ "

- " نعم - لكنه ليس ذا نفع على الإطلاق " .

تردد صوت المثلث في بيت المزرعة . صاح جودي : " ذلك هو العشاء . تعال لتناول العشاء " .

فيما هما يسيران مقتربين من البيت ، لاحظ جودي أن جسم جيتانو كان منتصباً كجسم شاب . من اهتزاز حركاته وجرجرة عقبيه على الأرض فقط كان يمكن أن ترى أنه كان عجوزاً .

كانت الديوك الرومية تطير بتثاقل على الفروع الواطئة من شجرة السرو قرب مبنى مرقد العمال . قطعت قطة مزرعة سمينة قوية الطريق حاملة جرذاً كبيراً جداً الى درجة أن ذيله تجرجر على الأرض . وظلت طيور السمان على منحدرات التلال تطلق صوت نداء الماء الصافي .

وصل جودي وجيتانو الى الدرج الخلفي ونظرت السيدة تِفلِن

من خلال ستارة الباب إليهما .
- " أدخل بسرعة يا جودي . تعال لتتعشى مع جيتانو " .
كان كارل وبِلي قد شرعا يأكلان وهما يجلسان الى الطاولة الطويلة المغطاة بمشمع . انزلق جودي جالساً على كرسيه دون أن يحركه ، لكن جيتانو وقف ممسكاً بقبعته الى أن رفع كارل نظره وقال : " إجلس ، إجلس . يمكنك أن تملأ بطنك قبل أن تواصل سيرك " . كان كارل يخشى أن يلين ويسمح للرجل العجوز في أن يقيم معهم ، فواصل تذكيره بأن ذلك لن يتحقق .
وضع جيتانو قبعته على أرضية الغرفة وجلس على الكرسي بحياء . لم يكن بمكنه الوصول الى الطعام . كان لا بد أن يدفعه كارل نحوه . " خُذْ ، إملأ بطنك " . أكل جيتانو ببطء شديد ، قاطعاً قطعاً صغيرة من اللحم وواضعاً قليلاً من البطاطا المهروسة على طبقه .
لم يضع الموقف حداً لقلق كارل تِفلِن . سأل : " أليس لديك أقرباء في هذه الأرجاء من البلاد ؟ "
أجاب جيتانو ببعض الفخر : " صهري في مونتيري . ولديّ أبناء عم هناك أيضاً " .
- " حسناً ، يمكنك أن تذهب وتعيش هناك إذن " .
قال جيتانوا بتوبيخ لطيف : " لقد ولدت هنا " .
دخلت أم جودي من المطبخ حاملةً طبقاً كبيراً من حلوى بودِنج تابيوكا .
قهقه كارل ضاحكاً لها . " هل أخبرك بما قلته له ؟ قلت له لو أن لحم الخنزير والبيض ينمو على منحدرات التلال لسمحت له بالرعي هناك ، مثل إيستِر العجوز " . حدق جيتانو في طبقه دون أن يحول نظره عنه .
قالت السيدة تِفلِن : " من السيء جداً ألاّ يمكنه الإقامة هنا " .
قال كارل بنزق : " والآن لا تبدأي أي شيء " .

حين أنهوا الأكل ، دخل كارل وبِلي بَكْ وجودي غرفة المعيشة ليجلسوا لوهلة ، لكن جيتانو مشى عابراً المطبخ ثم خرج من الباب الخلفي دون كلمة وداعٍ أو شكر . جلس جودي وهو يراقب أباه خلسة . كان يعرف مدى دناءة أبيه .

قال كارل لـ بِلي بَكْ : " هذه البلاد مليئة بهؤلاء الفلاّحين المهاجرين العجائز " .

دافع بِلي بَكْ عنهم : " إنهم رجال طيبون جداً . إنهم يستطيعون العمل وهم أكبر سناً من الرجال البيض . لقد رأيت رجلاً بلغ عمره مائة وخمس سنوات ، وظل قادراً على ركوب حصان . أنتَ لا ترى رجلاً أبيض في عمر جيتانو يمشي قاطعاً عشرين أو ثلاثين ميلاً " .

وافق كارل على ذلك : " أوه ، إنهم خشنون حقاً . قل لي : هل أنتَ معه أيضاً ؟ إصغِ يا بِلي " ، أوضح : " أنا أمر بما يكفيني من وقت عصيب لإبقاء هذه المزرعة بعيداً عن بنك إيطاليا بعدم قبول أي شخص آخر لإطعامه . أنتَ تعرف ذلك يا بِلي " .

قال بِلي : " مؤكد ، أعرف . لو كنتَ غنياً ، لاختلف الأمر " .

- " ذلك صحيح ، ولا يبدو الأمر كأنه ليس لديه أقرباء يذهب إليهم . صهر وأبناء عم في مونتيري . لماذا أقلق عليه ؟ "

جلس جودي هادئاً مصغياً ، وبدا أنه يسمع صوت جيتانو اللطيف وجملته التي لا يمكن الإجابة عليها : " لكنني ولدت هنا " . كان جيتانو غامضاً كالجبال . توجد سلاسل منها تمتد الى أقصى مسافة يمكنك رؤيتها ، لكن بلاداً عظيمة مجهولة تمتد خلف سلسلة الجبال الأخيرة شامخةً قبالة السماء . وكان جيتانو رجلاً عجوزاً ، الى أن تصل الى العينين الداكنتين الكامدتين . فخلفهما يستقر شيء مجهول . إنه لم يقل أبداً ما يكفي من كلمات حتى يمكنك تخمين ما كان داخله ، تحت العينين . أحس جودي بأنه ينجذب نحو مرقد العمال على نحو لا يقاوَم . انزلق نازلاً عن

كـرسـيّه بينما كـان أبوه يتكلم وخـرج من البـاب دون أن يصدر أي صوت .

كـان الليل حـالك الظلمـة فـوصلت أصوات الضجة واضحةً . تردد صـوت أجـراس أسماط خـيل فريق قطع الأخشاب من مسافة بعـيـدة على التـلال وهي تسير على الطريق الزراعي . سلك جـودي طريقـاً عبر الفناء المظلم . رأى نوراً من خـلال نافذة الغرفة الصغيرة في مـرقـد العمال . ولإن الليل كـان خـفـياً ، سار بهدوء متجهاً الى النافـذة ونظر الى الداخل . جلس جيـتـانو في كـرسي هزاز وظهـره لـلنافـذة . وتنقلت يده اليـمنى أمـامـه ببطء الى الخلـف والأمـام . دفع جـودي البـاب وفتحه ودخل . اهتـز جيتانو معتدلاً ، وفيما هو ممسك بقطعـة جلد غـزال ، حـاول أن يرمى بها على شيء يستقر في حـجـره ، لكن الجلد إنزلق بعـيـداً عنه . وقف جودي وقد انجذب كـيـانه كله الى الشيء الذي في يد جيتانو ، سيف مِغول رفيع وجميل بمـقـبض ذهبي على شكل سلة . كـان النصل كـشـعاع ليل مظلم رفـيع . وكان المقبض مثقوباً ومنحوتاً نحتاً معقداً .

سأل جودي : " ما هذا ؟ "

نظر إليـه جيـتانو بعينين مغتاظتين ، والتقط جلدَ الغزال الساقط ولف النصل الجميل به لفاً محكماً .

مـد جودي يده . " ألا يمكنني أن أراه ؟ "

اشـتعلت عينا جيتانو غضباً وهز رأسه .

– " من أين حصلتَ عليه ؟ من أين جاء ؟ "

نظر إليـه جيـتانو نظرة عميقة الغور ، كأنه كان يتمعــن فيـه . " أخذته من أبي " .

– " حسناً ، من أين حصل عليه ؟ "

هبط جيـتـانو بنظراته على صرة جلد الغـزال الطويلة المستقرة في يده . " لا أعرف " .

– " ألم يخبرك أبداً ؟ "

– " لا " .

- " ماذا تفعل به ؟ "

بدا جيتانو مندهشاً قليلاً . " لا شيء . أبقيه معي فقط " .

- " ألا يمكنني أن أراه ثانية ؟ "

حل الرجل العجوز النصلَ اللامع وأخرجه من لفافته وترك نور المصباح ينزلق عليه للحظة . ثم عاود لفه ثانية . " أخرج الآن ، أريد أن آوي الى الفراش " . نفخ على القنديل وأطفأه قبل أن يغلق جودي الباب .

بينما جودي يعود متجهاً نحو البيت ، عرف شيئاً واحداً على نحو أوضح مما عرف أي شيء آخر من قبل . يجب ألاّ يخبر أحداً عن سيف المغْوَل . سيكون إخباره لأي شخص عنه رهيباً ، فسيحطم هذا بنية حقيقة هشة . كانت حقيقة قد يحطمها نشرها بين الناس شَذَر مَذَر .

في الطريق عبر الفناء المظلم مر جودي بـ بِلي بَكْ . قال بِلي : " إنهما يتساءلان مستغربين أين أنت " .

تسلل جودي داخلاً غرفة المعيشة ، التفتَ أبوه إليه . " أين كنت ؟ "

- " خرجت لأرى إنْ كنت قد اصطدت أية جرذان بفخي الجديد " .

قال أبوه : " حان وقت إيوائك الى الفراش " .

كان جودي أول مَنْ جلس الى مائدة الإفطار في الصباح . ثم دخل أبوه ، وأخيراً دخل بِلي بَكْ . نظرت السيدة تِفلِن الى الغرفة من المطبخ .

سألتْ : " أين الرجل العجوز يا بِلي ؟ "

قال بِلي : " أظن أنه خرج يتمشى . نظرت في غرفته ولم يكن هناك " .

قال كارل : " ربما انطلق مبكراً نحو مونتيري . إنها مسافة طويلة يقطعها سيراً على الأقدام " .

أوضح بِلي قـائلاً : " لا . كيسه في الغرفة الصغيرة " .

بـعـد الإفطار سـار جـودي نحـو مـرقـد العمال . كـان الذباب يومض طائراً من مكان الى آخـر تحت أشعة الشمس . بدت المزرعة هادئة على نحو خاص هذا الصباح . حين تأكد جودي أن أحداً لا يراقبـه ، دخل الغـرفة الصغيرة ، ونظر في كيس جيتانو . كان فيه سروال قـطـني داخلي إضـافي ، وبنطال جينز آخـر وثلاثة جـوارب مـهترئة . لم يكن في الكيس شيء آخـر . تملك جودي شعور وحدة حـاد . فـسـار بـبطء عـائداً الى البـيت . كـان أبوه يقف في شرفـة المدخل ، متحدثاً الى السيدة تِفلِن .

قـال : " أظـن أن إيسـتِر العـجـوز مـات أخيراً . لم أره ينزل ليشرب مع الخيول الأخرى " .

في منتـصف الصـبـاح ، هبط جِس تايلور من مزرعة مَتْن الجبل راكباً حصاناً .

- " أنت لم تَبع طُعْمَ الغـراب الرمـاديّ العـجـوز ذلك ، أليس كذلك يا كارل ؟ "

- " لا ، طبعاً لا . لماذا ؟ "

قـال جِس : " حـسناً . خـرجت صـباحَ اليوم مبكراً ، ورأيت شـيئاً مـضـحكاً . رأيت رجـلاً عـجوزاً على حصان عجوز بلا سرج ومـعـه فـقط قطعـة حـبل استـعـمله كلجام . لم يكن يسير علـى الطريق . كـان يقطع المسـافة على خط مستقيم بين أشجار الأجمة . أظن أن لديه بندقـية . على الأقل رأيت شيئاً لامعاً في يده " .

قـال كـارل تِفلِن : " ذلك هو جيتانو العجوز . سأتأكد مما إذا كـانت إحدى بندقياتي مفقودة " . خطا داخلاً البيت مرة ثانيـة .

" لا . كلها هنا . أي طريق كان يتجه إليه يا جِس ؟ "

- " حـسناً ، ذلك هو المضـحك في الأمر . كان متجهاً مباشرة الى الجبال " .

ضـحك كـارل . قـال : " إنهم لا يشـيخون أبداً على السرقة . أظن أنه سرق إيستِـر العجوز " .

- " أتريد مطاردتَه يا كارل ؟ "

- " الى الجـحـيم ، لا ، لقد وفــر علي دفــن ذلك الحصان . أتســاءل من أين حـصل على البندقية . وأتساءل ما الذي يريده من عودته الى هناك " .

ســار جـودي في أرض الخـضار نحو خط الأجمة . ونظر باحثاً في الجـبـال البرجـيـة - قـمة وراء قمة وراء قمة الى أن تصل الى المحيط أخـيراً . لـلـحـظة فكر بأنه يسـتطيع أن يرى بقـعـةً سـوداء تزحف صـاعـدةً الى أعلى قـمـة . فكر جودي بالسيف المغْوَل وبـ جيتانو . وفكر بالجـبـال الشـاهقة . داعبه شوق ، وكان شَوقاً عارماً جداً الى درجـة أنـه رغب في أن يصرخ حتى يخرجـه من صـدره . تمدد على العـشب الأخضر قـرب الحـوض المسـتدير عند خط الأجمة . غطى عـينيـه بذراعيه المتصالبتين وظل ممدداً هناك مدة طويلة ، وقد أفعمه حزن بلا اسم .

III

الوعد

في منتـصف بعد ظهر أحد أيام الربيع ، مشى الفتى الصغير جودي مـشيـة شبه عسكرية على الطريق المؤدي الى خط الأجمة نحو مزرعة بيتـه . بخَبْطِه ركبته علي علبة الشحم الذهبية التي يستعملها لغداء المدرسـة ، استنبط طبـلا نحـاسيـاً جيداً بينما عملت طرقعة لسانه الحـادة عـمَلَ الطبـول المطوقـة وأبواق عـرضية . في وقت سابق كان أفـراد السرية الآخـرون ، الذين مـشوا مشية رائعة من المدرسة ، قد اسـتـداروا ودخلوا الوديان الصـغيرة وسلكوا طرق العـربات مـتجهين الى مـزارع بيـوتهم . وها هو جـودي يمشي مـشيـتـه العسكرية الآن وحـيـداً ظاهرياً ، بركبتين مرفوعتين عالياً وقدمين ساحقتين ، لكن هناك جـيـشـاً شـبـحـياً يسير خلفه بأعلام وسيوف عظيمة ، صامتاً لكنه مهلك .

كـان بعـد الظهـر أخضر وذهبـياً مع فصل الربيع . تحت فروع أشـجار البلوط المنتشرة نمت النباتات شاحبة وطويلة ، وعلى التلال كـان العلف أملس وكـثـيـفـاً . لمعت شـجيرات المريمـيـة بأوراقـها الجـديدة الفـضية بينما كسيت أشجار البلوط بأغطية خضراء ذهبية . فـوق الـتـلال ، تـعلقت رائحـة خضراء على نحـو حمل الخـيـول في الأراضي المنبـسطة على أن تهرول بجنون ، ثم تتـوقف مـسـتـغربةً ؛

الحـمـلان وحـتى الأغنام العجائز تقفز في الهواء على نحو غير متوقع وتهبط الى الأرض على أرجل مـتـيـبـسـه ، وتتـابع الأكل ؛ عـجول خـرقاء صغيرة تتناطح برؤوسها وترتد الى الخلف وتتناطح ثانية .

فـيما كـان الجـيش الصـامت يسير سيره العسكريّ أمام الحيوانات وجـودي يقـوده ، كفت عن أكلها ولعبها وراقبته يمر بها .

فـجـأة تـوقف جـودي . وتـوقـف الجـيـش الرمـاديّ ، مـرتبكاً وعـصـبـيـاً . هبط جـودي راكـعـاً على ركـبـتـيـه . وقف الجيش في صـفـوف طويلة قلقـة للحظة ، ثم ارتفع ، وبتنهيدة حزن رقيقة في ضبـاب خـفـيف رمادي اختفى . رأى جودي التاج القرني لعلجوم مـقـرن يتـحـرك تحت تراب الطريق . امتدت يده القذرة وأمسكت الهالة المقـرنة وشـدد قـبـضته عليها بينما قاومه الوحش الصغير . ثم قلب جـودي العلجومَ المقرن ، كاشفاً عن معدته الذهبية الشاحبة . بأصـبع شـاهد رقيق ، مسد الحلق والصدر الى أن استرخى العلجوم المقـرن ، الى أن أغمضت عيناه وتمدد متراخياً ونائماً .

فـتح جـودي علبـة غـدائه ووضع أول صـيد له داخلها . تحرك مـتـقـدماً الى الأمام الآن ، وركبتاه منحنيتان انحناءً خفيفاً ، وكتفاه مـقـوسـان ؛ بينما وقـدمـاه الحـافـيتان حكيمتان وصامتتان . في يده اليـمنى استـقـرت بندقـيـة رمـادية طويلة . اهتزت الشجيرات على الطريق مـتـململةً تحت تجـمع سكاني جـديد وغير مـتوقع من نمور رمـادية ودببـة رمـادية . كـان الصـيـد جـيـداً جـداً ، فقـد اصطاد جـودي ، أثناء الفترة التي وصل فـيـها الى مفترق الطرق حيث يقوم صندوق البريد على عـمـود ، علجـومين مـقـرنين آخـرين ، وأربع سـحليـات حـشـيش صـغيرة ، وأفـعي زرقـاء ، وسـتة عشر جندباً أصـفـر الجناحين وسمندل ماء بنياً رطباً من تحت صخرة . خربشت هذه التشكيلة بتعاسة على صفيح علبة الغداء .

عند شـوكـة الطرق تبـخـرت البندقية والنمور والدببة وذابت من مـنحـدرات التـلال . حـتى المخلوقـات الرطبـة والمزعـجـة في علبـة الغـداء توقـفـت عن الوجـود ، فقد كان العلم المعدني الأحمر الصغير

مـرتفـعـاً على صندوق البريد ، دالاً على أن بعض المواد البريدية في الـداخـل . وضـع جـودي عـلـبتـه عـلى الأرض وفـتــح صندوق الرسـائل . كـان هناك بيـان جـائزة مـونتـجمري ونسخة من جريدة سـاليناس الاسـبـوعـيـة . صـفق الصندوق ، والتـقط علبـة غـدائه وهرول فـوق الجسر وهبط الى داخل حـوض المزرعـة . ركض مجتـازاً الحظيرة ، وكـومـة التـبن المسـتهلكة ، ومبنى مرقد العمال ، وشجرة السـرو . دخـل بعنف من باب سـتـارة بيت المزرعـة الأمـامـيـة ، منادياً : " سيدتي ، سيدتي ، ها هو البيان " .

كـانت السـيـدة تِفلِن في المطبخ تغرف حليبَ اللبن الخاثر وتصبه في كـيس قطني بملعـقة . وضعت عملها جانباً وشطفت يديها تحت الحنفية . " هنا في المطبخ يا جودي . أنا هنا " .

دخل راكـضـاً ووضع علبـة غـدائه مـقـرقـعاً على حوض غسيل الأطباق . " ها هو . أيمكنني فتح البيان يا سيدتي ؟ "

أخـذت السيدة تِفلِن الملعقة ثانية وعادت الى جبنة الحلــوم . " لا تضـيـعه يا جودي . أبوك يريد أن يراه " . قشطت آخر الحليب الخـاثر ووضـعته في الكيس . " أوه يا جودي ، يريد أبوك أن يراك قبل أن تذهب الى أعمالك اليومية " . طردت ذبابة محلقة عن كيس الجبن .

أغلق جـودي البيان الجديد منزعجاً . " سيدتي ؟ "

- " لِمَ لا تسمع أبداً . قلت إن أباك يريد أن يراك " .

وضع الولد البـيـان بلطف على لوح حـوض غـسيل الأطبــاق . " هل - أبسبب شيء فعلته ؟ "

ضـحكت السـيـدة تِفلِن : " ضـميرك مـثـقــل دائمــاً . مـاذا فعلتَ ؟ "

قـال على نحـو ملتـو : " لا شيء يا سيدتي " . لكنه لم يستطع أن يتـذكـر ، إضـافـة الى أنه كـان من المستحيل أن يعرف أي فعل يمكن أن يعتبر كجريمة .

عـلـقـت أمـه الكيس كله على مـسمار حيث يمكنه أن يقطر في

حوض غسيل الأطباق " قال فقط بأنه يريد أن يراك حين تصل الى البيت . إنه في مكان ما قرب الحظيرة " .

استدار جودي وخرج من الباب الخلفي . حالما سمع أمه تفتح علبة الغداء وتشهق غيظاً ، طعنته ذكرى وهرول مبتعداً نحو الحظيرة ، قاصداً ألا يسمع الصوت الغاضب الذي نادى عليه من البيت .

كان كارل تِفلِن وبِلي بَكْ ، عامل المزرعة ، يقفان مستندين على سياج المرعى السفلي . أراح كل منهما أحد قدميه على القضيب السفلي من السياج ، بينما استقر مرفقاهما على القضيب العلويّ . كانا يتحدثان ببطء عن مواضيع غير معينة ، بينما كانت نصف دزينة من الخيل تقضم العشب اللذيذ راضيةً . فيما وقفت الفرس نيلي وظهرها للبوابة ، حاكةً ردفيها على العمود الثقيل .

اقترب جودي منسلاً بقلق . جر أحد قدميه ليعطي انطباعاً بالبراءة الأكيدة ورباطة الجأش . حينما وصل الى جانب الرجلين ، وضع قدماً على قضيب السياج السفلي ، وأراح مرفقيه على القضيب الثاني ونظر الى المرعى أيضاً . ألقى الرجلان نظرة جانبية عليه .

قال كارل بنبرته الصارمة التي يحتفظ بها للأطفال والحيوانات : " أردت أن أراك " .

قال جودي بإحساس بالذنب : " نعم يا سيدي " .

– " يقول بِلي بأنك اعتنيتَ بالمهر عنايةً فائقة قبل أن يموت " .

لم يلح في الجو عقاب . ازدادت جرأة جودي : " نعم يا سيدي . لقد فعلت ذلك " .

– " يقول بِلي بأنك تتمتع بصبر فائق مع الخيول " .

أحس جودي بود فجائي دافيء نحو عامل المزرعة .

تدخل بِلي بَك : " لقد درب ذلك المهر بمهارة تعادل مهارة أي شخص آخر رأيته في حياتي " .

ثم دخل كـارل تِفلِن في الموضـوع تدريجيـاً : " إذا حصلتَ على حصانٍ آخر هل تعملَ على تربيته ؟ "

ارتعش جـودي . " نعم يا سيدي " .

- " حـسناً ، انتبـه الي إذن . يقـول بِلِي أن أفضل طريقة لكي تصبح عاملاً ماهراً في تربية الخيل هي أن تربي مهراً صغيراً " .

قاطعه بِلِي : " إنها الطريقة الجيدة الوحيدة " .

تابع كـارل : " والآن انتبه الي يا جودي . عند جِس تايلور ، في مـزرعـة متن الجبل في الأعلى ، حصان فحل لكنه سيكلف خمسة دولارات . سأدفع المال ، لكنك سـتعـوض المبلغ بالعـمل مـقـابله طيلة الصيف . هل ستفعل ذلك ؟ "

أحسّ جـودي بأن أحـشـاءه تنقـبض . قـال برقـة : " نعم يا سيدي " .

- " ولا شـكـوى ؟ ولا تـنـسى أي عـمل حين يطلب منك أن تقوم به ؟ "

- " نعم يا سيدي " .

- " حـسناً ، ليكن الأمِر كذلك إذن . غداً صباحاً ، تأخذ نلِي وتصـعـد بها الِى مـزرعـة مَتن الجـبل وتسـتـولدها هناك . ويجب أن تعتني بها أيضاً ، الى أن تضع المهر الصغير " .

- " نعم يا سيدي " .

- " يحسن أن تذهب الِى الدجاج والحطب الآن " .

تسلّل جـودي مـبـتـعداً . حينما مرّ خلف بِلِي بَكْ ، كاد أن يمد يده ويلمس الرجلين اللابستين الجينز الأزرق . وتمايلت كتفاه قليلاً بالنضج والأهميَة .

ذهب الى عـمله بجـد لم يسبقه مثيل . في هذه الليلةَ لم يرمِ علبةَ الحـبـوبِ للدجـاج على نحـو يحملِ الدجـاج على القـفز على بعضه بـعـضـاً والـصراع لـلـوصـول الى الحب . لا ، بل نشر الحنطة على مـسـافة طويلة جداً وبعناية فائقة حتى أن الدجاج لم يستطع أن يجد بعض هذه الحـبـوب إطلاقـاً . في البيت ، بعد أن أصغى الى يأس

أمه من أولاد يملأون علب غدائهم بالزواحف القذرة المختنقة والبق ، وعَدَ بألاّ يفعل ذلك ثانيةً أبداً . حقاً أحس جودي بأن كل مثل تلك الحماقات ضاعت في الماضي . لقد كبر كثيراً وتجاوز سن وضع العلاجم المقرنة في علبة غدائه . نقل الكثير من الحطب وكون منه بناءً عالياً جداً الى درجة أن أمه ابتعدت عن الكومة خوفاً من انهيار حطب البلوط . حين أنهى عمله ، حين جمع البيض الذي بقي مختفياً عدة أسابيع ، سار ثانية أمام شجرة السرو وأمام مرقد العمال متجهاً نحو المرعى . لم يثِر فيه علجوم سمين متألّل ، نظر اليه من تحت قناة الري ، أي انفعال عاطفيّ .

لم يكن كارل تِفلِن ولا بِلي بَك في مجال رؤيته ، لكن جودي عرف من رنين معدني على الجانب الآخر من الحظيرة بأن بِلي بَك بدأ يحلب بقرة في هذه اللحظة تماماً .

كانت الخيول الأخرى تأكل وهي تتجه نحو الطرف الأعلى من المرعى ، لكن نِلي واصلت حك نفسها بعصبية على العمود . مشى جودي ببطء قرب ذلك المكان ، قائلاً : " هاه يا فتاة ، هاه يا نِلي ! " ارتدت أذنا الفرس الى الخلف بكبرياء وانسحبت شفتاها عن أسنانها الصفراء . أدارت رأسها حولها ؛ كانت عيناها زجاجيتين مجنونتين . تسلق جودي الى قمة السياج وعلق قدميه عليها وهبط بنظره الى أسفل نحو الفرس بعاطفة أبوية .

حلق المساء بينما جلس هو هناك . خفقت وطاويط وصقور ليلية حوله . رأى بِلي بَك المتجه نحو البيت والحامل سطل حليب مليء جودي ، فتوقف . قال برقة : " ستستغرق وقتاً طويلاً وأنتَ تنتظر . ستتعب كثيراً وأنتَ تنتظر " .

– " لا ، لن أتعب يا بِلي . كم سيستغرق هذا ؟ "

– " حوالي سنة " .

– " حسناً ، لن أتعب " .

رنّ المثلّث في البيت بصوت حاد . نزل جودي عن السياج ومشى الى العشاء الى جانب بِلي بَك ثم مد يده وأمسك سطل

الحليب ليساعد على حمله .

في الصباح التالي بعد الإفطار ، طوى كارل تِفلِن ورقة خمسة دولارات في قطعة جريدة وشبكها كلها بدبوس في جيب الجزء الأعلى من وزرة جودي السروالية . وضع بِلي بَك رسناً على الفرس نِلي وقادها الى خارج المرعى .

قال محذراً : " خذ بالك الآن . أبقها على مسافة قصيرة منك حتى لا تعضك . إنها مجنونة كطائر غرة " .

أمسك جودي الرسن الجلديّ نفسه وشرع يصعد التل نحو مزرعة متن الجبل ونِلي تعدو برشاقة وتهتز خلفه . كانت رؤوس الشوفان البري في المرعى وعلى طول الطريق تنظف أغمدتها . وصبت شمس الصباح الدافئة أشعتها على ظهر جودي بهدوء كبير الى درجة أنه اضطر الى أن يقفز قفزة جادة من وقت الى آخر بالرغم من نضجه . وعلى الأسيجة أطلقت الطيور السوداء اللامعة ذات الكتافيات الحمراء نداءاتها الجافة بصوت مقرقع . وغنت قبرات المروج غناء شبيهاً بخرير الماء ، وأطلقت الحمامات البرية المختفية بين أوراق شجر البلوط المتفجرة بالحياة صوت حزن مكتوم . وفي الحقول جلست الأرانب تشمس نفسها ، وقد ظهرت آذانها الشوكية فقط من فوق العشب .

بعد ساعة من مشي جودي المطرد صاعداً التل ، دار الى الطريق الضيق الصاعد الى تل أكثر انحداراً الى مزرعة متن الجبل . رأى سقف الحظيرة الأحمر بارزاً فوق أشجار البلوط وسمع كلباً ينبح نباحاً غير منفعل قرب البيت .

فجأة اهتزت نِلي مرتدة وكادت أن تحرر نفسها . ومن اتجاه الحظيرة سمع جودي صرخة حادة صافرة وصوت تشظي حطب ، ثم صوت رجل يصيح . ارتدت نِلي الى الخلف وصهلت . حين تمسك جودي بحبل الرسن ، ركضت نحوه بأسنان بارزة . أسقط الحبل وجرى بعيداً عن طريقها نحو الأجمة . أتت الصرخة العالية من بين أشجار البلوط ثانية ، وأجابت نِلي عليها . ظهر الحصان

الفحل وحوافره تضرب الأرض ، وهاجم هابطاً التل ، جاراً حبل الرسن المقطوع . التمعت عيناه التماعاً محموماً . كان منخراه المتصلبان المنتصبان حمراوين كلهب . ولمع جلده الأسود الزَلِق في نور الشمس . ثم تقدم الفحل بسرعة هائلة حتى أنه لم يستطع التوقف حين وصل الى الفرِس . ارتدت أذنا نِلي الى الخلف ، دارت واندفعت ورفسته حين مر بها . دار الفحل حول نفسه وعاد . ضرب الفرسَ بحافره الأمامي ، وبينما هي تترنح من تأثير الضربة ، نهش رقبتها ، فانبجس منها دم .

تغير مزاج نِلي في الحال . أصبحت أنثوية مغناجة . دغدغت رقبته المقوسة بشفتيها . ودارت متقدمة حوله شيئاً فشيئاً وحكت كتفها بكتفه . وقف جودي نصف مختفٍ في الأجمة وراقب . سمع خطى حصان خلفه ، لكن يداً أمسكت به من رباط وزرته السروالية ورفعته عن الأرض قبل أن يتمكن من الالتفات . أجلس جِس تايلور الفتى خلفه على الحصان .

قال : " كان يمكن أن تقتل . يصبح سَنْ دوج Sundog شيطاناً رجيماً أحياناً . لقد قطع حبله وخرج من بوابة " .

جلس جودي هادئاً ، لكنه صاح بعد لحظة : " سيؤذيها . سيقتلها . أبعده عنها ! "

قهقه جِس : " ستكون بخير . قد يحسن بك أن تترجل وتصعد الى البيت وتبقى هناك لفترة . قد تحصل على فطيرة هناك " .

لكن جودي هز رأسه : " إنها فرسي ، وسيكون المهر الصغير مهري . سأربيه " .

أومأ جِس برأسه : " نعم ، ذلك حسن . لـ كارل تفكير سليم أحياناً " .

بعد وهلة انتهى الخطر . رفع جِس جودي ووضعه على الأرض ثم أمسك الفحل من حبل رسنه المقطوع . وسار في المقدمة على متن حصانه بينما تبعه جودي وهو يقود نِلي .

بعـد أن نزع جـودي الدبوس وسلم الدولارات الخـمـسة ، وبعد أن أكـل فطيرتين ، انطلق عـائداً الى البـيت . وتبـعـتـه نِلي بإذعـان سـائرة وراءه . أصـبـحت هادئة حـتى أن جـودي صـعد على جَذْل شـجـرة مقطوعة وركبها وقطع معظم المسافة الى البيت راكباً .

حـولتـه الدولارات الخمسة التي دفعها أبوه الى عامل سخرة طيلة أواخـر الربيع وفصل الصيف . حين قُطع التبن ، عمل على تجميعه بالمشط . وقـاد الحـصـان الى جر مجموعة شوكات جاكسون ، وحين أتى صـانع البـالات ، عمل على دفع الحصان الدوار الى أن يضغط البـالات . إضـافـة الى أن كـارل تِفلِن علمـه كـيف يحلب الأبقـار ويعتني بها ، فأضيف اليه عمل يومي آخر ليلاً وصباحاً .

أصـبحت الفرس الكميت نِلي وادعةً بسرعة . فقد كانت شفتاها تتـجمع في ابتسامة عريضة دائماً وهي تمشي متنقلة من مكان الى آخر على منحـدرات التـلال المصـفـرة أو وهي تقـوم بمـهـمـات بسيطة . وراحت تتـحـرك ببطء ، برزانة إمبراطورة هادئة . حـينما كانت تشد الى طريق عـمل ، كـانت تجـر باطراد وبلا انفعال . وذهب جودي ليراها كل يوم . تفـحصها بعينين نافذتين ، ولم ير فيها أي تغيير .

بعـد ظهر أحد الأيام ، ركز بِلي بَكْ شوكة السماد عديدة الشعب على جـدار الحظيرة . أرخى حـزامـه ودس ذيل قـمـيـصه وأعاد شد الحـزام . نزع إحـدى قشاته الصغيرة من زيق قبعته ووضعها في ركن فـمـه . عندمـا خـرج عـامل المزرعـة من الحظيرة ومـشى الهوينى ، إعـتـدل جـودي ، الذي كـاد يسـاعد دبِل تري مَطْ الكلب الكبيـر الجـاد ، ليحفر ويخرج حيوان جوفر .

اقترح بِلي بَكْ : " لنذهب ونلق نظرة على نِلي " .

على الفـور انتظمت خطوات جـودي مع خطواته . راقـبـهما دَبِلْ تـري مَطْ من فـوق كـتـفـه ؛ ثم حـفـر الكلب بعنف وزمجر وأطلَق نبـاحاً قصيراً حاداً ليشير الى أن الجوفر اصطيد فعلاً . حين نظر من فـوق كـتـفـه ثانيـة ورأى بأن جـودي وبلي بَكْ غير مهتمين ، تسلق خـارجاً من الحفرة مستاءً وتبعهما صاعداً التل .

كـان نبات الشوفان البري ينضج . مال كل رأس منه بحدة تحت حمولتـه من الحـبـوب ، وكان العشب جافاً تماماً حتى أنه راح يصدر صـوت هـسـيس وجـودي وبِلي يمـران بينه . عند منتـصف التل ، رأيا الفـرس نِلي والحصان الرماديّ حديديّ اللون المخصي بيت Pete يـقـضمان رؤوس الشـوفـان البريّ . حين اقتربا ، نظرت نِلي إليـهما وردت أذنيـهـا الى الخلف ورفـعت رأسها الى الأعلى والأسفل بحركة تمرد . سـار بِلي نحـوها ووضع يده تحت عـرفـهـا وربت على رقبتها حتى عادت أذناها الى الأمام ثانية وقضمت قميصه برقة .

سأل جـودي : " أتظن أنها ستضع مهراً صغيراً حقاً ؟ "

رفع بِلي جـفني عين الفـرس بإبهامـه وسبابته . ثم تحسس الشفة السـفلى وأمـر إصـبـعه على الحلمات الجلدية السوداء . قال : " لن يفاجئني هذا " .

- " حسناً ، إنها لم تتغيرّ قط . لقد مرت ثلاثة أشهر " .

فـرك بِلي جـبـهـة الفرس المنبسطة بعقل أصابعه بينما نَخَرت هي بسـعادة . " لقد أخبرتك بأنك ستتعب من الانتظار . ستمر خمسة شـهـور أخرى قبل أن ترى علامةً ، وستمر ثمانية أشهر أخرى على الأقل قبل أن تقذف بالمهر ، في حوالي يناير القادم " .

تنهد جودي بعمق . " إنه وقت طويل ، أليس كذلك ؟ "

- " وستمر حوالي سنتين أخريين قبل أن تركبها " .

صـاح جودي بيأس : " سأكون قد كبرت " .

قـال بِلي : " نعم ، ستكون رجلاً عجوزاً " .

- " أي لون سيكون لون المهر الصغير كما تظن ؟ "

- " لماذا ، لا يمكنك أن تعـرف أبداً . الفـحل أسـود والفرس كـستنائيـة . قـد يكون المهـر الصغير أسود أو كستنائياً أو رمادياً أو أرقش . لا يمكنك أن تعـرف . أحياناً قد تلد فرس سـوداء مهـراً أبيض " .

- " حـسناً ، آمل أن يكون أسود ، وفحلاً " .

- " إنْ كـان فـحـلاً فـسنخـصيه . لن يسمح لك أبوك في أن

تقتني حصاناً فحلاً " .

قال جودي : " قد يسمح . سأدرّبه على ألاّ يكون حقيراً " .

زمّ بِلي شفتيه ، وتدحرجت القشة الصغيرة التي كانت في زاوية فمه واستقرت في وسطه . قال منتقداً : " لا يمكنك أن تثق بأي حصان فحل أبداً . معظمها تقاتل وتثير المتاعب . أحياناً هي لا تعمل حين لا تكون في حالة انبساط . وتثير قلق الأفراس وترفس الخيول المخصّية حتى تخرج الجحيمَ منها . لن يسمح لك أبوك في أن تربي حصاناً فحلاً " .

سارت نِلي الهوينى مبتعدة ، قاضمةً العشب الجاف . انتزع جودي الحبوب من ساق عشبه ورمى حفنة منها في الهواء ، فانطلقت كل بذرة مدببة مريشة مبحرةً كسهم . " قل لي يا بِلي ، كيف ستكون الحال . هل ستكون شبيهة بحال الأبقار حين تلد عجولها ؟ "

– " تقريباً . الأفراس أكثر حساسية قليلاً . أحياناً لا بد أن تكون هناك لتساعد الفرس . وأحياناً ، إن وقع خطأ ، عليك أن – "

صمت .

– " عليك أنْ ماذا يا بِلي ؟ "

– " عليك أن تمزق المهر الصغير إرباً لتخرجه ، وإلاّ ماتت الفرس " .

– " لكن الوضع لن يكون على هذا النحو هذه المرة ، هل سيكون يا بِلي ؟ "

– " أوه ، لا . نلي وضعت أمهراً جيدة " .

– " أيمكنني أن أكون هناك يا بِلي ؟ يقيناً أنك ستستدعيني ؟ إنه مهري " .

– " بالتأكيد سأستدعيك . طبعاً سأستدعيك " .

– " أخبرني كيف سيكون الوضع " .

– لماذا ، لقد رأيتَ الأبقار تضع عجولها . إنه نفس الشيء

تقـريبـاً . الفرس تبدأ بالأنين والتمدد ، وإذا كانت ولادتها جيدة ، يأخـذ الرأس والقـدمان الأماميتان بالخروج ، وتحفر الحوافر الأمامية حـفـرة بالرفس على نحـو مـا تفـعل العـجـول تمامـاً . ويبدأ المهر بـالتنفس . من المسـتـحـسن أن تكون هناك ، فإذا لم تكن قـدمـاه طبيعيتين فقد لا يتمكّن من خرق الكيس ، عندئذ قد يختنق " .

سـاط جـودي رجلَه ضـارباً بها باقـة عشب . " لا بد أن نكون هناك حينذاك ، أليس كذلك ؟ "

- " حسناً ، سنكون هناك طبعاً ، هذا مؤكد " .

اسـتـدارا ومـشيا ببطء هابطين التل نحو الحظيرة . عذب جودي شيء كـان لا بد أن يقوله ، مع أنه لم يكن يرغب في أن يقوله . بدأ القـول ببؤس : " بِلي ، بِلي ، لن تدع أي شيء يقع للمهر ، أليس كذلك ؟ "

عـرف بِلي بأنه كـان يفكر بالمهـر الأحمر جـابيلان ، وكيف مات من حمى الخَيل . عرف بِلي بأنه كان معصوماً عن الخطأ قبلئذٍ ، أما الآن فأصـبح عرضة للفشل . جعلته هذه المعرفة أقل ثقة بنفسه مما كـان في السـابق . قـال بخـشـونة : " لست متأكداً . قد تقع كل أنواع المتـاعب ، ولن تكون هذه غلطتي . لا يمكنني أن أقـوم بكل شيء " . استـاء لفـقـده هيـبته ، فقال بدناءة : " سأقوم بكل ما أعـرفـه ، لكنني لن أعـدَ بأي شيء . إن نِلي فـرس جـيـدة . لقد وضـعت أمهر جيدة من قبل . لا بد أن تفعل هذا في هــذه المرة " . وابتـعـد عن جـودي ودخل غرفة الأسرج المجاورة للحظيرة ، فقد أوذيت مشاعره .

كثيراً ما يذهب جودي الى خط الأجمة خلف البـيت . وهناك يحمل أنبـوبٌ صـدىء سيلَ ماء نبع رفيع ويصبه في حوض أخضر قديم . وحيث يندلق الماء ويغـرق في الأرض ، تمتـد بقـعـة عـشب دائمـة الخضرة . حـتى عندمـا والتـلال بنيـة اللون وتشـوى في الصـيـف ، تظل تلك البـقـعـة الصـغيرة خضراء . ويتابع الماء خريره الرقيق في

القناة طيلة السنة . وقد أصبح هذا المكان نقطة مركزية لـ جودي . حين يعاقب ، يهدئه العشب الأخضر البارد والماء المهسهس . حين يكون دنيئاً ، كانت حموضة الدناءة القارضة تدفعه نحو خط الأجمة . حين يجلس على العشب ويصغي الى الجدول وخريره ، تتحطم الحواجز التي يقيمها اليوم العابس في عقله وتتناثر شظايا وتتلاشى .

من جهة أخرى ، كانت شجرة السرو قرب مرقد العمال منفرةً قدر ما كان حوض الماء عزيزاً على النفس ؛ فالى هذه الشجرة تأتي كل الخنازير لتذبح عاجلاً أو آجلاً . كان قتل الخنزير ساحراً ، بزعيقه والدماء المسفوحة ، لكنه كان يسارع في خفقان قلب جودي الى حد إيلامه . وبعد أن تشاط الخنازير في الغلاية الحديدية ثلاثية الأرجل وتقشط جلودها وتنظف وتصبح بيضاء ، يكون على جودي الذهاب الى حوض الماء ليجلس على العشب الى أن يهدأ قلبه . لقد كان حوض الماء وشجر السرو متضادين وعدوين .

حين تركه بِلي ومشى غاضباً بعيداً عنه ، استدار جودي وسار نحو البيت . فكر بـ نِلي والمهر الصغير وهو يسير . ثم رأى فجأة بأنه وصل الى تحت شجرة السرو السوداء ، الشجرة الوحيدة التي تعلّق عليها الخنازير . أزاح شعره العشبي الجاف عن جبهته وحث خطاه . بدا له أنه مما يجلب النحس أن يفكر في مهره في مكان الذبح تماماً ، خصوصاً بعد ما قاله بِلي . وليبطل أية نتيجة شريرة لذلك الربط السيء ، مشى مسرعاً متجاوزاً بيت المزرعة من خلال فناء الدجاج ، من خلال أرض الخضار ، الى أن وصل أخيراً الى خط الأجمة .

جلس على العشب الأخضر . تردد صوت الماء السائل في أذنيه . نظر من فوق مباني المزرعة وعبرها الى التلال المستديرة الغنية والصفراء بالحبوب . رأى نِلي ترعى على المنحدر ، وكما هي العادة ، ألغى مكان الماء الزمانَ والمكانَ . رأى جودي مهراً طويل السيقان أسود يرتطم بخاصرتي نِلي ، طالباً الحليب . ثم رأى نفسه

يروّض مهراً ضخماً على الرسن . وفي لحظات قليلة كبر المهر ليصبح حيواناً رائعاً ، عريض الصدر ، برقبة كبيرة مقوسة كرقبة حصان بحر ، وبذيل يمتد على شكل لسان ويتموج كلهب أسود . كان هذا الحصان مرعباً لأي شخص ما عدا جودي . في ساحة المدرسة رجاه الأولاد بالسماح لهم بركوبه ، فوافق جودي مبتسماً . لكنهم ما كادوا يمتطونه حتى قذف بهم الشيطان الأسود أرضاً . آه ، ذلك هو اسمه : الشيطان الأسود ! وللحظة ، عاد الماء السائل والعشب وأشعة الشمس ثم . . .

أحياناً ، يسمع سكان المزارع ، وهم آمنون في أسرتهم ليلاً ، هديرَ حوافر تمر بهم ، فيقولون : " إنه جودي ، على الشيطان . إنه يساعد مفوض الشرطة ثانية " . وبعدئذ . . .

ملأ الغبار الذهبي الهواءَ في الحلبة في ميدان ألعاب رُديو ساليناس . أعلن المذيع بدء مباريات الربط بالحبال . حين ركب جودي الحصان الأسود لينطلق إنطلاقة البدء ، هز المتبارون الآخرون أكتافهم وتخلوا له عن المكان الأول ، فمن المعروف تماماً لدى الجميع أن جودي والشيطان قادران على ربط أي ثور بالحبال وطرحه أرضاً ثم تقييده بأسرع كثيراً من أي فريق ثنائي من رابطي الحبال . لم يعد جودي أبداً ولداً ، ولم يعد الشيطان حصاناً . أصبح الإثنان فرداً واحداً . وبعدئذ . . .

كتب رئيس الجمهورية رسالة طلب فيها منهما العون في القبض على عصابة في واشنطن . مدد جودي نفسه مسترخياً على العشب . وجرى جدول الماء الصغير آناً في الحوض الطحلبي .

انقضت السنة ببطء . ويوماً بعد يوم تخلى جودي عن مهره واعتبره شيئاً مفقوداً . لم يحصل أي تغيير على الفرس نِلي . وظل كارل تِفلِن يشدها الي عربة خفيفة ، لتجر آلة جمع التبن وتشغل جهاز شوكات جاكسون حين يوضع التبن في الحظيرة .

انقضى الصيف ، والخريف الساطع الدافيء . ثم أخذت رياح

الصباح المجنونة تتلوى على الأرض ، وتسلل البرد في الهواء ، وتحول لون شجرة البلوط الى اللون الأحمر . في صباح يوم في سبتمبر ، حين أنهى إفطاره ، نادته أمه ليحضر الى المطبخ . كانت تصب ماءً غالياً في سطل مليء بجريش طحين مخلوط بنخالة جافة وتحرك الخليط لتكون منها عجينة تنفث بخاراً .

سأل جودي : " نعم يا سيدتي ؟ "

- " راقب كيف أصنعه . ستصنع هذا بعد هذا اليوم كل يومين صباحاً " .

- " حسناً ، ما هذا ؟ "

- " لماذا ، إنها جريشة ساخنة لـ نِلي . ستحافظ على لياقتها " .

حك جودي جبهته بعُقلة أصبعه . سأل متهيباً : " هل هي بخير ؟ "

وضعت السيدة تِفلِن الغلاية على الأرضِ وحركت الجريش بمغرفة خشبية . " طبعاً هي بخير ، لكنكَ يجب أن تعتني بها عناية فائقة من الآن فصاعداً . خذ هذا الإفطار لها " .

حمل جودي السطل وجرى ماراً بمرقد العمال وبالحظيرة ، والسطلِ الثقيل يرتطم بركبتيه . وجد نِلي تلعب بالماء في القناة ، دافعةً الأمواج ودافعةً رأسها فيندلق الماء خارج القناة وينصب على الأرض .

تسلق جودي السياج ووضع سطلَ الجريش النافث بخاراً الى جانبها . ثم خطا متراجعاً لينظر إليها . وكانت متغيرة . كان بطنها منتفخاً . حين كانت تتحرك ، كانت أقدامها تلمس الأرض بلطف . دفنت أنفها في السطل وازدردت الفطور الساخن . وبعد أن أنهت أكلها ودفعت السطل بأنفها الى جانبها على الأرض مسافةً قصيرة ، خطت بهدوء مقتربة من جودي ومسحت وجنتها عليه .

خرج بِلي بَكْ من غرفة الأسرج ومشى مقترباً منه . " تبدأ سريعاً حينما تبدأ ، أليس الأمر كذلك ؟ "

- " هل حصل هذا فجأة ؟ "

- " أوه ، لا ، كـفـفتَ أنت عن النظر اليها لوهلةً " . سحب رأسـها نحو جودي . " ستكون لطيفة أيضاً . أنظر كم هما جميلتان عـيناها ! بعض الأفـرس تصبح خبيثة ، لكنها تحب كل شيء حين تصـبح لطيـفـة " . زلقت نِلي رأسها تحت ذراع بِلي ومسحت برقبتها الى الأعـلى والأسـفـل بين ذراعـه وجنبـه . قـال بِلي : " يحسن أن تعاملها معاملة رقيقة جداً " .

سأل جودي بأنفاس منقطعة : " كم ستستغرق ؟ "

عـدّ الرجل على أصابعه همساً ، ثم قال بصوت عال : " حوالي ثلاثة أشـهـر . لا يمكن أن تعـرف بالضبط . أحياناً تستغرق أحد عشر شـهـراً منذ اليـوم ، لكن هذا قـد يحدث أبكر بإسبوعين ، أو متأخراً بشهر ، دون إيقاع أي أذى بأي شيء " .

نظر جـودي محدقاً في الأرض ، ثم بدأ بعصبية : " بِلي ، بِلي ، سـتـسـتدعيني حين تضع ، أليس كذلك ؟ ستسمح لي في أن أكون هناك ، أليس كذلك ؟ "

عضّ بِلي طرف أذن نِلي بأسنانه الأمـامـيـة . " يقـول كارل بأنه يريدك أن تبـدأ منذ البـداية تمامـاً . هذه هي الطريقـة الوحيدة لكي تتـعلم . لن يسـتطيع أي إنسـان إخبـارك بأي شيء . كما فعل أبي مـعي مع بطانيـة السرج . كـان حمالاً مكارياً حكومـيـاً حـينما كنت بحـجـمك ، وكنت أسـاعـده قليـلاً . ذات يوم ، تركت عقدةً في بطانيـة السرج مما سـبب تقـرّحـاً للحـصـان . لم يثـر أبي أيةَ ضجة جـهنمـيـة حول ذلك قط . لكنه وضـع علي في الصباح التالي سرجاً يـزن أربـعـين رطـلاً . كـان علي أن أقـود حـصـاني وأن أحمل ذلك السرج صـاعـداً جـبلاً لعيناً تحت الشمس . كاد ذلك أن يقتلني ، لكنني لم أترك عـقـدةً في بطانيـة سرج الحـصان بعد ذلـك أبداً . لم أسـتطع فـعل ذلك . كما لم أغطِ نفسي ببطانية منذ ذلك الوقت أبداً إلاّ وأحسست بذلك السرج على ظهري " .

مـد جـودي يده وأمـسك بعرف نِلي . " ستخبرني بما سأفعله ،

ألـيـس كـذلك ؟ أظن أنك تعـرف كل شيء عن الخـيـول ، أليس كذلك ؟ "

ضـحك بِلي . قـال : " لماذا ، أنا نفسي نصف حـصان ، أنتَ تـرى هـذا . مـاتـت أمـي حـينما ولـدت ، ولأن أبي كـان مكارياً حكومـيـاً في الجـبـال ، ولعدم وجود أبقار في مكان قريب في أغلب الأوقـات ، لماذا كان يقدم الي حليب الفرس في أغلب الأحيان " . وتابع القـول بلهـجـة جـادة : " والخيول تعرف ذلك . ألا تعرفين هذا يا نِلي ؟ "

أدارت الفـرس رأسـهـا ونظرت نظرة مـبـاشرة في عينيه للحظة ، وهذا فعل لا تقـدِم عليـه الخيول عملياً أبداً . كان بِلي فخوراً بنفسه وواثقـاً بها الآن . تفاخر قليلاً . " سأعمل عليِ أن تحصل على مهر جـيد . سأبدأ بتدريبك على الفور . وإذا فعلتَ حسبما أقول لك ، ستحصل على أفضل حصان في المنطقة " .

أدفأ ذلك جـودي وأشـعـره بالفخر أيضاً ؛ بفخر عظـيـم حتـى أنـه حين عـاد الى البـيت حنى رجليـــه وأمـال كـتـفـيـه كما يفـعل الفـرسـان . همس : " هووه ، أنتَ أيها الشيطان الأسود ، أنت ! إثبَت وأبقِ أقـدامك على الأرض " .

حلّ الشـتـاء قـارسـاً . زخات تمهيدية قليلة عاصفة ، ثم مطر قوي مطرد . فـقـدت التـلال لونها القشي واسـودت تحت الماء ، وزحفت سـيـول الـشـتـاء ضـاجـةً هابطةً الى الوديان . برزت نبـاتات الفطر والفطر النفـاث وأخذ العشب الجديد ينتشر قبل عيد الميلاد .

لكن عـيـد الميـلاد في هذه السنة لم يكن اليوم الرئيسي بالنسبة الى جـودي . أصـبـح يوم غير محدد في شـهـر يناير هو الـيـوم المحـوري الذي تدور حـوله الشهور . حينما كانت الأمطار تهطل ، كان يضع نِلي في حـجيرة مـربط ويطعـمـهـا طعـامـاً دافئاً كل صباح ويمشط شعرها بالمِحسة وينظفها بالفرشاة .

كـان بطن الفـرس ينتفخ انتفاخاً كبيراً جداً الى درجة أنها أزعَجَتْ

جودي . قال لـ بِلي : " ستنفجر وينفتح بطنها " .
وضع بِلي يده القوية العريضة على بطن نِلي المنتفخ . قال بهدوء : " تحسس هنا . تستطيع أن تحسه يتحرك . أظن أنك ستندهش إنْ كان هناك مهران توأمان " .
صاح جودي : " أنتَ لا تظن هذا ؟ أنتَ لا ترى بأنه سيكون توأمين ، أليس كذلك يا بِلي ؟ "
- " لا ، لا أظن هذا ، لكن هذا يحدث أحياناً " .
خلال أول إسبوعين من يناير ، هطلت الأمطار غزيرة . قضى جودي أغلب وقته ، حينما لا يكون في المدرسة ، في المربط مع نِلي . عشرين مرةً في اليوم وضع يده على بطنها ليتحسس المهر يتحرك . أصبحت نِلي رقيقة معه أكثر فأكثر وودودة . صارت تمسح بأنفها عليه . كما صارت تصهل برقة حين يدخل الحظيرة .
جاء كارل تِفلِن الى الحظيرة مع جودي ذاتِ يوم . نظر نظرة إعجاب الى فروة جلد نِلي الكستنائية المنظفة جيداً ، وتحسسِ اللحم القوي فوق أضلعها وكتفيها . قال لـ جودي : " قمتَ بعمل رائع " . كان هذا أعظم مديح عرف كيف يلقيه على أي إنسان . وتر الفخر جودي لساعات بعدئذ .
حل الخامس عشر من يناير ، ولم يولد المهر . وحل العشرون منه ؛ فأخذت تتجمع غصة من الخوف في معدة جودي . فسأل بِلي : " هل هي بخير ؟ "
- " أوه ، بالتأكيد " .
ثم سأله ثانيةً : " هل أنتَ متأكد من أنها ستكون بخير ؟ "
مسد بِلي على رقبة الفرس . هزت رأسها بصعوبة . " أخبرتك أن الولادة لن تكون دائماً في نفس الوقت يا جودي . يجب أن تنتظر " .
حينَ حل أخر الشهر دون أن تضع ، اهتاج جودي اهتياجاً شديداً . فقد أصبحت نِلي ضخمة الجثة جداً حتى أن أنفاسها كانت تخرج بصعوبة ، كما التصقت أذناها وانتصبتا ، كأن رأسها

يؤلمها . فأصبح نوم جودي قلقاً ، وتشوشت أحلامه .

في ليلة الثاني من فبراير ، استيقظ جودي صارخاً . نادت أمه عليه : " جودي ، أنت تحلم . استيقظ ونم من جديد " .

لكن جودي كان مفعماً بالرعب واليأس . استلقى بهدوء بضع لحظات ، منتظراً أن تعود أمه لتنام ، ثم ارتدى ملابسه وزحف خارجاً وقدماه حافيتان .

كان الليل أسود وحالكاً . وتساقط مطر خفيف مضبب . لاحت شجرة السرو ومرقد العمال من بعيد ثم ارتد المشهد متراجعاً ليختفي في الضباب . صر باب الحظيرة حين فتحه ، وهو أمر لا يحدث أبداً في النهار . ذهب جودي الى معلف الدواب وعثر على قنديل وعلبة ثقاب . أشعل الفتيل ومشى قاطعاً الممر الطويل المغطى بالقش نحو مربط نِلي . كانت واقفة . وجسمها يتمايل من جانب الى آخر . صاح جودي منادياً عليها : " أوه نِلي ! أوه نِلي ! " لكنها لم تكف عن تمايلها ولم تنظر حولها . وحينما خطا داخلاً المربط ولمس كتفها ، ارتجفت تحت يده . ثم أتاه صوت بِلي بَكْ من كومة التبن فوق المربط .

- " جودي ، ماذا تفعل ؟ "

جفل جودي متراجعاً وأدار عينين بائستين نحو العش حيث كان بِلي ينام في القش . " هل هي بخير ، أترى ذلك ؟ "

- " لماذا ، مؤكد ، أرى هذا " .

- " لن تدع أي شيء يحدث يا بِلي ، أنت متأكد ، أليس كذلك ؟ "

زمجر بِلي من عل نحوه . " أخبرتك بأنني سأنادي عليك ، وسأنادي عليك . عد الآن الى الفراش وكف عن إقلاق راحة تلك الفرس . لديها ما يكفيها من عمل دون إقلاقك لها " .

انكمش جودي ، فهو لم يسمع بِلي يتكلم بمثل تلك اللهجة أبداً . قال : " فكرت أن أحضر وأرى فقط . لقد استيقظت " .

لان بِلي قليلاً ثم . " حسناً ، إذهب الى الفراش . لا أريدك

أن تزعجها . أخبرتك بأنني سأقدم إليك مهراً رائعاً . إذهب الآن " .

خرج جودي من الحظيرة ببطء . أطفأ القنديل ووضعه على الرف . صفعه سواد الليل والضباب قارس البرودة ثم طوقاه . تمنى أن يصدق كل ما قاله بلي كما كان يصدقه قبل أن يموت المهر الأحمر . مرت لحظة قبل أن تستطيع عيناه اللتان أعماهما لهب القنديل الضعيف أن تميزا أي شكل في الظلام . لسعت برودة الأرض الرطبة قدميه الحافيتين . على شجرة السرو تمتمت الديوك الرومية قليلاً بانزعاج ، واستجاب الكلبان الطيبان لواجبهما وخرجا مهاجمين ، نابحين لإخافة وإبعاد ذئاب القيوط التي ظنا أنها تتجول تحت الشجر .

فيما هو يزحف عابراً المطبخ ، تعثر بكرسي . صاح كارل من غرفة نومه : " مَنْ هناك ؟ ماذا يجري هناك ؟ "

قالت السيدة تِفلِن وهي نَعِسة : " ما الأمر يا كارل ؟ "

في اللحظة التالية ، خرج كارل من غرفة النوم حاملاً قنديلاً ، فرأى جودي قبل أن يندس في الفراش . " ماذا تفعل في الخارج ؟ "

أشاح جودي بوجهه عنه خجلاً . " ذهبت الى الحظيرة لأرى الفرس " .

للحظة ، تصارع الغضب لإيقاظه مع استحسان في نفس أبي جودي . ثم قال أخيراً : " إسمع . لا يوجد أي إنسان في هذه البلاد يعرف عن الأمهر أكثر مما يعرف بِلي . أترك الأمر له " .

انفجرت الكلمات من فم جودي : " لكن المهر الأحمر مات – "

قال كارل عابساً : " لا تظل تلقي اللوم عليه . إنْ لم يستطع بِلي إنقاذ حصان ، فإنه لا يمكن إنقاذه " .

صاحت السيدة تِفلِن : " إحمله على أن ينظف قدميه ويأوي الى الفراش يا كارل . سيبقى نَعِساً طيلة يوم الغد " .

بدا لـ جـودي أنه أغـمض عـينيه قبل لحظات فقط ليحاول أن ينـام حين هزٍ بعنف من كـتـفـه . كـان بِلي بَكْ يقف الى جـانبـه حاملاً قـنـديـلاً . قـال : " إنهض . أسرع " . اسـتـدار ومـشى مسرعـاً خارجاً من الغرفة .

صاحت السيدة تِفلِن : " ما الأمر ؟ أهذا أنتَ يا بِلي ؟ "

– " نعم يا سيدتي " .

– " هل نِلي مستعدة ؟ "

– " نعم يا سيدتي " .

– " حـسناً ، سأنهض وأسـخن بعض الماء في حال إحتياجـك إليه " .

قـفـز جـودي مـرتدياً ملابسه بسرعة كبيرة الى درجة أنه وصل الى خـارج البـاب الخلفي قـبل أن يصل قنديل بِلي المتمايل الى منتـصف المسـافة الى الحظيرة . تعلقت حافة فجر على قمم الجبال ، لكن أي نـور لم يـكـن قـد تسرب الى حـوض المزرعـة بعـد . جـرى جـودي بـاهـتـيـاج وراء القنديل ولحق بـ بلي حـالما وصل الى الحظيرة . علق بِلي الـقنديل في مـسمار في جـانب المربـط ونـزع مـعطفـه الأزرق الـدينِم . رأى جـودي بأنه يرتدي فقط قميصاً بلا أكمام تحته .

كـانت نِلي تقف جـامـدة ومـتيبسة . بينما هما يراقبانها ، جثمت عـلى الأرض . راح جـسـمـهـا كـلـه يتلوى بنوبات تشنج . توقف التشنج . لكنه بدأ من جديد بعد بضع لحظات ثم توقف .

تمـتـم بِلي بـعـصـبيـه : " في الأمـر خطأ " . اخـتـفـت يداه العاريتان . قال : " أوه ، يا للمسيح . هناك خطأ " .

عـاودها التـشنج ثانيـة ، وتوتر بِلي هذه المرة ، ونتأت عـضلات ذراعـه وكـتـفه . تنهد بقوة ، وتصبب العرق على جبهته . صاحت نِلي مـتألمة . كـان بِلي يتـمتم : " يوجد خطأ . لا أستطيع إدارته . إنه في وضع خـاطيء . لقد استدار دورة كاملة خاطئة " .

حملق بوحـشية نحو جودي . ثم أجرت أصابعه تشخيصاً مدققاً

جـداً . راحـت وجـنـتـاه تـتـوتران وتتلونان بلون رمـاديّ . نظر الى جـودي الواقف في مـؤخـرة المربط مـدة دقـيقةٍ تساؤلٍ طويلة . ثم خطا بِلي نحـو الرف الواقع تحت نافـذة السماء والتـقطَ مطرقة حدوة خيل بيده اليمنى المبللة .

قال له : " أخرجِ يا جودي " .

وقف الولد ساكناً وحدق فيه بغباء .

- " أخـرج ، قلت لك . سيفوت الأوان " .

لم يتحرّك جودي .

ثم سـار بِلي بسرعـة نحـو رأس نِلي . وصـاح : " أدر وجهك ، اللعنة عليك ، أدر وجهك " .

أطاع جـودي هذه المرة . استدار وجهه جانباً . سمع بِلي يهمس بصـوت أجش في المربط . ثم سـمع صـوت سحق عظام أجوف . زعـقت نِلي بصـوت حـاد . التـفت جـودي الى الخلف ليرى المطرقة ترتفع وتسقط ثانية على الجـبـهة المنبسطة . ثم سقطت نِلي متثاقلة على جنبـها وارتعدت للحظة .

قـفـز بِلي نحـو المعـدة المنتـفخة ؛ وسكين جيبه الكبيرة في يده . رفـع الجلد وغـرس السكين فـيـه . ثم نشر ومـزق البطن الخـشن . فـاح الهواء برائحة أحشاء حية دافئة مغثية . ارتدت الخيول الأخرى متراجـعـة ساحبةً سلاسل أرسنها وزعقت ورفست .

أسـقط بِلي السكين . غـاصت كلتـا ذراعيه داخل الحفرة الرهيبة المشرشرة وأخـرج صـرة كـبيرة بيـضـاء يقطر منهـا سـائل . مـزقت أسنانه ثقـبـاً في الغطاء . ظهـر رأس صغيرٍ أسود من خلال المزقة ، ثم أذنان صـغيرتان لزجـتـان مـبلولتـان . سحب نَفَس مغرغر ، ثم نَفَس آخـر . قشر بِلي الكيس منتـزعـاً إياه من مكانه وأمسك سكينه وقطع الحـبل . حمل المهـر الأسـود الصـغير بين ذراعـيه للحظة ونظر إليـه . ثم مـشى ببطء مـقترباً من جـودي ووضـعـه على القش عند قدميه .

كـان الـدم الأحمر يقطر من وجـه بِلي وذراعـيـه وصـدره . ارتعـد

جسـمـه واصطكت أسنانه . كان صوته قد اختفى ؛ فتكلم بهمس حلقي : " ها هو مـهـرك . لقـد وعدتك . إنه هناك . كان يجب أن أفـعل هذا – كان يجب " . وقف ونظر من فوق كتفه الى داخل حـجيرة المربط . همس : " إذهب وأحضر مـاء ساخناً واسفنجة ، إغسله ونظفـه على نحـو مـا تفـعل أمـه . سيكون عليك إطعامـه باليد . لكن هاك مهرك ، كما وعدتك " .

حـدّق جـودي بـغـبـاء في الفَلْوِ المبلل اللاهث . مـد الفلو ذقنه وحـاول أن يـرفع رأسـه . كـانت عـيناه الخـاويتـان زرقـاوين زرقـة بحرية .

صـاح بِلي : " لعنة الله عليك ، هل سـتـذهب الآن لإحـضار الماء ؟ هل ستذهب ؟ "

ثم اسـتـدار جـودي وترنح خـارجاً من الحظيرة الى الفجر . كان يتألم من حلقـه حـتى مـعـدته . كـانت رجـلاه متيبستين وثقيلتين . حـاول أن يحس بالسرور بسـبب المهـر ، لكن وجه بِلي بَك الدموي وعـينيه المنزعجتين التعبتين تعلقتا في الهواء أمامه .

IV

قائد الشعب

بعـد ظهـر يوم سـبت ، جمع بِلي بَكْ ، عـامل المزرعة ، آخر كومة تبن تخلّفت من السنة الماضـيـة وقـذف بملء شـوكات منها من فوق سيـاج الأسـلاك لبـعض الماشـية المهتمة اهتماماً طفيفاً بهذا التبن . عـاليـاً في السماء ، سـاقت ريح مارس سحباً صغيرة شبيهة بنفحات دخـان مـدافع في اتجـاه الشرق . كانت الريح تسمع وهي تهب بين الشـجيرات على قـمم متون الجبال ، لكن نفساً منها لم يتسلل هابطاً الى حـوض المزرعة .

خـرج الفـتى الصـغير جـودي من البـيت وهو يأكل قطعـة خبز سـمـيكة مـدهونة بالزبدة . رأى بِلي مـشغولاً بكومة التبن الأخيرة . خطا جـودي جـاراً فـردتي حـذائه بطريقـة قـيل له بأنها مدمرة لجلد الحـذاء الجيـد . طار سرب حمام أبيض خـارجـاً من شـجرة السرو السـوداء حين مـر جـودي بها ، ودار حـول الشـجـرة ثم عاد وحط عليـهـا ثانيـة . قـفزت قطة بقشرة سلحفاة نصف مكتملة النمو من شرفـة مـدخل مـرقـد العمال ، هرولـت على سـيـقـان مـتـيبسة عبر الطريق ، دومت ثم هرولت عـائدة ثانيـة . التـقط جـودي حـجـراً ليسـاعـد على مـتـابعـة اللعـبة ، لكنه تأخر أكثر من اللازم ، فقد وصلت القطة الى شرفـة المدخل قبل أن يتمكن من إطلاق الحجر .

رمى الحجر على شجرة السرو وأفزع الحمامات البيضاء فطارت طيراناً مدوماً مرة أخرى .

بعد أن وصل الفتى الى كومة التبن المستهلكة ، اتكأ على سياج السلك الشائك . سأل : " هل ذلك سيكون كل التبن ، أتظن هذا ؟ "

توقف عامل المزرعة البالغ منتصف العمر عن تجميع التبن وغرس شوكته في الأرض . خلع قبعته السوداء ولمس شعره الى أسفل . قال : " لم يبق منه سوى التبن المبتل من رطوبة الأرض " . أعاد قبعته الى رأسه وفرك يديه الجلديتين الجافتين معاً .

قال جودي : " لا بد أن هناك الكثير من الفئران " .

قال بِلي : " قذرة بالفئران . تزحف فيها الفئران " .

– " حسناً ، حين تنهي كل هذا ، ربما أستدعي الكلبين لاصطياد الفئران " .

قال بِلي بَكْ : " مؤكد ، أظن أنه يمكنك هذا " . رفع ملء شوكة من التبن الأرضي الرطب ورماه في الهواء . في الحال قفزت ثلاثة فئران خارجة منه وحفرت باهتياج واختفت تحت التبن ثانية .

تنهد جودي بارتياح . حكم على هذه الفئران المكتنزة الزلقة المتعجرفة . لقد عاشت ثمانية أشهر وتكاثرت في كومة التبن . كانت محصنة من القطط ، ومن الفخاخ ، ومن السم ومن جودي . كبرت وتكاسلت في أمنها الذي تعيش فيه ، معتدة بنفسها وسمينة . ها هو وقت المصيبة يحل الآن ؛ ولن تعيش يوماً آخر .

رفع بِلي نظره الى قمة التلال المحيطة بالمزرعة . اقترح : " قد يكون من المستحسن أن تسأل أباك قبل أن تفعل هذا " .

– " حسناً ، أين هو ؟ سأسأله الآن " .

– " ركب ذاهباً الى مزرعة المتن بعد العشاء . سيعود بعد وقت

قصير جداً " .
تدلى جودي على عمود السياج : " لا أظن أنه سيبالي بهذا " .
بينما كان بِلي بَكْ يعود الى عمله ، قال محذراً : " يستحسن أن تسأله على أية حال . أنتَ تعرف كيف يكون " .
جودي يعرفه بالتأكيد . أبوه كارل تِفلِن يصر على أن يعطي الإذن بنفسه لأي شيء يعمل في المزرعة ، إنْ كان هذا الشيء مهما أو لم يكن كذلك . تدلى جودي منخفضاً أكثر على العمود الى أن وصل الى الأرض وجلس عليها . رفع نظره الى هبات السحب الصغيرة التي تدفعها الريح . " هل من المحتمل أن تمطر يا بِلي ؟ "
– " قد تمطر . الريح مناسبة للمطر ، لكنها ليست قوية تماماً " .
– " حسناً ، آمل ألاّ تمطر حتى أقتل تلك الفئران اللعينة " .
نظر من فوق كتفه ليرى إنْ كان بِلي قد لاحظ البذاءة الناضجة . لكن بِلي واصل العمل دون تعليق .
التفت جودي الى الخلف ونظر الى منحدر التل حيث يهبط الطريق القادم من العالم الخارجي . كان التل مغموراً بأشعة شمس مارس الهزيلة . وأزهرت أشواك فضية ونبات الترمس الأزرق وبضع شجيرات خشخاش بين شجيرات المِريمية . في منتصف المسافة الصاعدة الي التل ، رأى جودي دَبِل تري مَطْ ، الكلب الأسود ، يحفر في حفرة سنجاب . حفر لوهلة ثم توقف ليخرج دفعات أوساخ من الحفرة بساقيه الخلفيتين ، ثم حفر بحماس يناقض الحقيقة التي لا بد أنه يعرفها وهي أن أياً من كلاب العالم لم يمسك سنجاباً بحفرِه حفرة .
فجأة وبينما كان جودي يراقبه تيبس الكلب الأسود ، ثم تراجع بعيداً عن الحفرة ، ورفع نظره الى التل نحو الشق في متن الجبل حيث يجري الطريق . رفع جودي نظره الى هناك أيضاً . انتصب كارل تِفلِن للحظة على صهوة جواده قباله السماء الشاحبة ، ثم

هبط الطريق نحو البيت . كان يحمل شيئاً أبيض في يده .
وثب الولد واقفاً على قدميه . صاح : " جلب معه رسالة " . هرول نحو بيت المزرعة ، فمن المحتمل أن تقرأ الرسالة بصوت عالٍ وأراد أن يكون هناك . وصل الى البيت قبل أن يصل أبوه ، ودخله جارياً . سمع كارل يترجل عن سرجه المطلق صريراً ويصفع الحصان على جنبه ليرسله الى الحظيرة حيث سينزع عنه بِلي السرج ويطلقه الى الخارج .
جرى جودي داخلاً المطبخ . صاح : " استلمنا رسالة ! "
رفعت أمه رأسها عن وعاء فول .
- " مَنْ استلمها ؟ "
- " أبي استلمها . رأيتها في يده " .
دخل كارل المطبخ حينذاك فسألته أم جودي : " ممن الرسالة يا كارل ؟ "
قطب بسرعة : " كيف عرفتِ أن هناك رسالة ؟ "
أومأت برأسها في اتجاه الفتى : " جودي البنطال الكبير أخبرني " .
ارتبك جودي .
نظر أبوه اليه باحتقار من عل . قال كارل : " إنه أصبح بنطالاً كبيراً . إنه يتدخل في عمل كل إنسان إلاّ عمله هو . يدس أنفه الكبير في كل شيء " .
لانت السيدة تِفلِن قليلاً . " حسناً ، ليس لديه ما يكفي ليبقيه مشغولاً . ممن الرسالة ؟ "
ظل كارل عابساً لـ جودي . " سأبقيه مشغولاً إذا لم يأخذ حيطته " . ومد لها رسالة مختومة . " أظن أنها من أبيك " .
نزعت السيدة تِفلِن دبوس شعر من رأسها وفتحت لسان المظروف . زمت شفتيها متمعنة في المحتوى . رأى جودي عينيها تقفزان الى الخلف والأمام فوق السطور . قالت مترجمة ما في الرسالة : " يقول ، يقول إنه سيحضر يوم السبت ليقيم هنا لوهلة

وجيزة . أوه ، اليوم هو يوم السبت ، لا بد أن الرسالة تأخرت " . نظرت الى علامة البريد . " أُرسِلَت هذه الرسالة يوم أول أمس . كان يجب أن تصل الى هنا أمس " . رفعت نظرة متسائلة الى زوجها ، وعند ئذ أظلم وجهها بغضب . قالت : " الآن ، ما الداعي الى تلك النظرة منك ؟ إنه لا يحضر كثيراً " .

أشاح كارل بعينيه بعيداً عن غضبها . يمكنه أن يكون صارماً معها أغلب الوقت ، لكنه لا يستطيع أن يواجهها حين يتعكر مزاجها أحياناً .

سألت ثانية : " ما بك ؟ "

تخللت نغمته أعذار توضيحية ، نغمة كان جودي نفسه يمكن أن يستعملها . قال كارل وهو يلف ويدور : " إنه فقط ما يتكلم عنه . ما يقوله " .

- " حسناً ، وماذا في هذا ؟ أنتَ نفسك تتكلم " .

- " من المؤكد أنني أتكلم . لكن أباك يتكلم عن شيء واحد فقط " .

تدخل جودي بانفعال : " الهنود ! الهنود وعبور السهول ! "

التفت كارل بعنف إليه . " أخرج أنتَ يا سيد بنطال كبير ! إذهب الآن ! أخرج ! "

خرج جودي من الباب الخلفي بائساً وأغلق الستارة بهدوء تام . تحت نافذة المطبخ ، وقعت عيناه المخزيتين والغاضتين على حجر عجيب الشكل ، حجر فيه سحر عظيم دفعه الى أن يقرفص ليلتقطه ويقلبه في يديه .

وصلت اليه الأصوات بوضوح من خلال نافذة المطبخ المفتوحة . سمع صوت أبيه يقول : " جودي على حق لعين . هنود وعبور السهول فقط . لقد سمعت تلك القصة عن كيفية تشتت الخيل حوالي ألف مرة . إنه يظل يتكلم عنها مراراً وتكراراً ، ولا يغير أبداً حتى كلمة واحدة مما يقوله أبداً " .

حينما أجابته السيدة تِفلِن ، كانت لهجتها متغيرة تغيراً واضحاً

الى درجـة أن جـودي رفع نظره عن الحـجر وهــو خارج النافــذة . أصـبح صـوتها رقيقاً وتوضيحياً . عرف جودي كيف سيتغير وجهها ليتماشى مع لهجتـهـا . قالت بهدوء : " أنظر إليه بهذه الطريقة يا كـارل . كـان ذلك أكبر حـدث وقـع في حياة أبي . لقد قاد قطار عـربات عبر السـهـول حتى الساحل بنجاح ، وحين انتهى ذلك ، انتهت حياته . كان حدثاً كبيراً ، لكنه لم يستمر مدة طويلة الى حد كـاف " . تابعت : " أنظر ! إن الأمـر يبدو كأنـه ولد للقيام بهذا العـمَل فـقط ، وبعـد أن أنهاه ، لم يعد أمامه من شيء آخر يقوم به سـوى التـفكير به والحـديث عنه . لو كـانت هناك مـسافة أبعد الى الغـرب ليـذهب إليها ، لذهب إليها . لقد أخبرني بذلك بنفسه . لكن المحـيطَ كـان في النهـاية . إنه يعـيش قـرب المحيط تماماً الآن حيث كان لا بد أن يتوقف " .

لقـد أسَـرَت كارل ، أمسكت به وطوقته بنغمتها الرقيقة .

وافق بهدوء : " لقـد رأيتـه . إنه يهبط ويحدق بعيداً في الغــرب في المحـيط " . واحـتد صوته قليلاً : " ثم يذهب الى نادي حذوة الحـصـان في أجمة المحـيط الهادىء ويحدث الناس هناك كـيف شتت الهنود الخيول " .

حـاولت الإمـسـاك به ثانيـة : " حسناً ، إنه كل شيء بالنسبـة إليه . يمكنك أن تصبر عليه وتتظاهر بالإصغاء اليه " .

أشـاح كـارل بوجهه نافذَ الصبر ، قال بعصبيه : " حسناً ، إذا سـاءت الأمـور أكثر من اللازم ، فسأذهب الى مرقد العمال وأجلس مع بلي " . مـشى خـارجاً من البيت وصَفَق الباب الأمامي وراءه .

جـرى جـودي ليـقـوم بعـمله اليومي . رمى الحب للدجاج دون أن يطارد أية دجـاجـة منهـا . جمع البـيض من الأعـشاش . هرول مـتنقـلاً داخل البـيت ومـعه الحطب بعد أن ستفه بعناية في صندوقه حـتـى أن حمـولـتـيّ مـلء ذراعـين مـنـه بـدتـا أنهما تملآن الصندوق وتفيضان منه .

كـانت أمـه قـد أكـملت الفـول حينذاك . نبشت بالنار لتلتهب

ونظفت قمة الفرن بجناح ديك رومي . اختلس جودي النظر بحذر إليها ليتأكد إنْ ظلّ في نفسها أي بغض نحوه . سأل جودي : " هل سيحضر اليوم ؟ "

- " ذلك ما قالته الرسالة " .

- " قد يستحسن أن أذهب لاستقباله على الطريق " .

خبطت السيدة تفلن غطاء الفرن . قالت : " سيكون ذلك حسناً . ربما يرغب في أن يُستقبَل " .

- " أظن أنني سأستقبله عندئذ " .

في الخارج ، صفر جودي صفيراً حاداً للكلبين . أصدر أمراً : " لنصعد التل " .

لوح الكلبان بذيليهما وجريا في المقدمة . على امتداد الطريق نمت على شجيرات المريمية قمم جديدة رقيقة . قطف جودي بعض أجزائها وفركها على يديه حتى امتلأ الجو بالرائحة الحادة البرية . قفز الكلبان مندفعين خارج الطريق ونبحا داخلَين الأجمة وراء أرنب . كانت تلك آخر مرة يراهما فيها جودي هنا ، فحينما فشلا بالإمساك بالأرنب ، عادا الى البيت .

مشى جودي صاعداً التل بتثاقل نحو قمة متن التل ذاك . حين وصل الى الشق الصغير الذي يجري الطريق فيه ، صفعته ريح بعد الظهر وأطارت شعره ونفشت قميصه . نظر الى أسفل نحو التلال الصغيرة ومتونها الممتدة تحته ثم نحو وادي ساليناس الأخضر الفسيح . رأى مدينة ساليناس البيضاء بعيداً في الأرض المنبسطة ورأى وميض نوافذها تحت الشمس الشاحبة . تحته مباشرة ، انعقد مؤتمر غربان في شجرة بلوط . أصبحت الشجرة سوداء والغربان كلها تنعق معاً في نفس الوقت .

ثم تابعت عينا جودي العربةَ على الطريق من متن التل حيث يقف ، وفقد أثرها خلف تل ، ورآها مرة أخرى على الجانب الآخر . وعلى امتداد الأرض البعيدة تلك ءأى عربةً صغيرة مفتوحة يجرها حصان كميت ببطء . اختفت خلف التل . جلس

جودي على الأرض وراقب المكان الذي ستظهر فيه العربة الصغيرة ثانية . غنت الريح على قمم التلال وأسرعت السحب الشبيهة بالفطر النفاث نحو الشرق .

ثم ظهرت العربة للعيان ووقفت . نزل رجل يرتدي السواد من مقعدها ومشي متجهاً الى رأس الحصان . رغم أن المسافة كانت بعيدة جداً ، إلاّ أن جودي عرف أن الرجل فك الشناق ، فقد سقط رأس الحصان الى الأمام . تقدم الحصان الى الأمام وسار الرجل ببطء صاعداً التل الى جانبه . أطلق جودي صرخة فرح وسار على الطريق نحوهما . تخبطت السناجب مبتعدة عن الطريق . وحرك طائر جواب ذيله حركة ارتجاجية واندفع فوق حافة التل وأبحر مبتعداً كطائرة شراعية .

حاول جودي أن يقفز الى منطقة ظله عند كل خطوة يخطوها . تدحرج حجر تحت قدمه وسقط . جرى حول منعطف قصير ، وهناك على مسافة قصيرة أمامه رأى جده والعربة . كف الفتى عن الجري غير اللائق وتقدم بمشية وقور .

تهادى الحصان متعثر الخطى صاعداً التل والرجل العجوز يسير الى جواره . في الشمس الواطئة اهتزت ظلالهما العملاقة معتمة خلفهما . كان الجد لابساً بذلة سوداء من الجوخ ومنتعلاً مداساً من نوع كِد كونجرس ، ومثبتاً ربطة عنق سوداء على ياقة قصيرة قاسية . حمل قبعته السوداء المتهدلة في يده . كانت لحيته البيضاء مقصوصة وقصيرة بينما تدلى حاجباه على عينيه كشاربين . كانت العينان الزرقاوان مرحتين مرحاً صارماً . وأحاط وقار جرانيتي وجهه كله وجسده كله ، حتى بدت أية حركة شيئاً مستحيلاً . في لحظة الاستراحة التي كان يستريح فيها ، بدا الرجل العجوز حجراً لن يتحرك ثانية . كانت خطواته بطيئة وواثقة . حالما تتحرك ، لا يمكن أن تنقلب على عقبيها ؛ وحالما تتجه الخطوات الى أي اتجاه ، لن ينعطف الاتجاه مائلاً ولن تسرع تلك الخطى أو تبطىء .

حين ظهر جودي من المنعطف ، لوح الجد بقبعته ببطء مرحباً ، وصاح : " لماذا ، جودي ! جئت لاستقبالي ، أليس كذلك ؟ "

انسل جودي جانباً مقترباً منه واستدار ثم ناسق خطواته مع خطوات الرجل العجوز وصلب جسمه وجرجر عقبيه قليلاً .

قال : " نعم يا سيدي . لقد استلمنا رسالتك اليوم فقط " .

قال الجد : " كان يجب أن تصل الى هنا أمس . حقاً ، كان يجب أن تصل إليكم أمس . كيف حال القوم ؟ "

- " إنهم بخير يا سيدي " . تردد ثم اقترح بخجل : " هل تحب أن تخرج لصيد فئران غداً يا سيدي ؟ "

قهقه الجد ضاحكاً . " صيد فئران يا جودي ؟ هل هبط مستوى ناس هذا الجيل الى مستوى صيد الفئران ؟ إنهم ليسوا أقوياء جداً ، هؤلاء الناس الجدد ، لكنني لم أكن بالكاد لأفكر بأن الفئران ستصبح طرائد لهم " .

- " لا يا سيدي ، إنه مجرد لعب . لقد اختفت كومة التبن . سأدفع بالفئران خارجها نحو الكلبين . ويمكنك أن تشاهد ما يجري ، أو حتى تضرب التبن قليلاً " .

هبطت عليه العينان الصارمتان المرحتان : " أرى هذا ، أنتَ لا تأكلها إذن . لم تبلغ ذلك الحد بعد " .

أوضح جودي قائلاً : " الكلبان يأكلانها يا سيدي . لن تكون كمطاردة وصيد الهنود على ما أظن " .

- " لا ، ليس كذلك الى حد كبير - لكن ، حين صارت الفرق العسكرية تطارد الهنود فيها بعد وتطلق النار على الأطفال وتحرق خيام التيبيه teepee ، لم يعد الوضع يختلف كثيراً عن صيد فئرانكم " .

وصلا قمة المرتفع وأخذا يهبطان داخلَين حوض المزرعة ، وابتعدت الشمس عن أكتافهما . قال الجد : " لقد كبرتَ . حوالي البوصة ، حسبما يجب أن أقول " .

قال جودي بفخر : " أكثر . حسب علامة يضعونها على الباب ، زاد طولي أكثر من بوصة منذ عيد الشكر " .

قال صوت الجد الحلقي الغني : " ربما امتلأ جسمك واشتد ساعدك وصلب عودك . انتظر حتى تنطلق الى الحياة ، وسنرى حينذاك " .

نظر جودي بسرعة الى وجه الرجل العجوز ليرى إنْ كان يقصد من ذلك جرح مشاعره ، لكن ، لم تكن في العينين الزرقاوين الحادتين قصد إيذاء ،ولا عِقاب ، ولا تقليل من شأنه . اقترح جودي : " قد نقتل خنزيراً " .

- " أوه ، لا ! لا يمكنني السماح لك بهذا . أنتَ تمزح معي فقط . لم يحَن الأوان وأنتَ تعرف هذا " .

- " أنت تعرف رايلي ، الخنزير البريّ الضخم يا سيدي ؟ "

- " نعم ، أذكر رايلي تماماً " .

- " حسناً ، أكل رايلي من كومة التبن تلك وحفر حفرةً فيها ، فسقطتْ عليه وخنقته " .

قال الجد : " تفعل الخنازير هذا عندما تكون قادرة عليه " .

- " كان رايلي خنزيراً رائعاً ، بالنسبة إليه كخنزير بري يا سيدي . ولقد ركبته في بعض الأحيان ، فلم يبالِ " .

انصفق باب في البيت تحتهما ، فرأيا أم جودي تقف في شرفة المدخل تلوح بمئزرها مرحبةً . ورأيا كارل تِفلِن يمشي متجهاً من الحظيرة الى البيت في انتظار وصول الجد .

اختفت الشمس الآن من التلال . وتعلق الدخان الأزرق المنطلق من مدخنة البيت مكوناً طبقات منبسطة في حوض المزرعة الأرجواني . وتعلقت سحب الفطر النفاث في السماء المهتزة بعد أن أسقطتها الريح الهابطة من الأعلى .

خرج بِلي بَكْ من مرقد العمال وقذف ماءً صابونياً من حوض غسيل على الأرض . كان يحلق لحيته في منتصف الإسبوع لأول مرة ، فـ بِلي بَكْ يكن احتراماً كبيراً للجد ، كما أن الجد قال أن بِلي

من الرجـال القـلائل في الجـيل الجديد الذين لم تَلِنْ عريكتهم . مع أن بِلِي كـان في منتـصف العـمـر ، إلاّ أن الجد اعتبره مجرد صبي . وكان بِلِي يسرع الآن متجهاً نحو البيت أيضاً .

حين وصل جـودي والجـد ، كـان الثـلاثة في انتظارهم أمام بوابة الفناء .

قال كارل : " مرحباً يا سيدي . كنا في شوق لرؤيتك " .

قـبلت السـيدة تِفلِن الجد على جانب لحيته ، ووقفت ساكنة بينما يده الضـخـمـة تربت على كـتفها . صافحه بِلِي بوقـار ، مبتسماً من تحت شـاربه القشي . قـال بِلِي : " سأهيء لحصانك مكاناً وأعتني به " ، وقاد الحصان والعربة بعيداً عنهم .

راقـبـه الجـد وهو يبتعد ، ثم ردد ، وهو يلتفت الى الجماعة ، ما قـاله مـائة مرة في السابق . " ذلك صبي رائع . لقد عرفت أباه : ذيل البـغل بَكْ العـجـوز . لم أعـرف قط لماذا دعوه بذيل البغل ، إلاّ أنه كان يحمّل البغال أحمالاً " .

اسـتـدارت السيدة تِفلِن وقادت الجماعة الى داخـل البيـــت . " كم ستبقى هنا يا أبي ؟ لم تقل رسالتك ذلك " .

- " حـسناً ، لا أعـرف . فكرت أن أبقى حـوالي أسـبوعين . لكنني لا أقضي أبداً نفس المدة التي أفكر بأنني سأقضيها " .

بـعـد وهلة جلسـوا حـول المائدة المغطاة بالمشـمع الأبيض وتناولوا عـشـاءهم . تدلى المصـباح صفيحي العاكسِ فوق الطاولة . خارج عـرفة الطعام خبطت الفراشات الكبيرة الزجاج خبطاً ليناً .

قطع الجـد شريحةَ لحم الى قطع صـغيرة ومضغها ببطء . قـال : " أنا جـائع . أثارت قـيـادة العـربة في هذه المنطقـة شـهيتي . كأن الوضع الآن كما كـان حين كنا نعبر . كنا نجوع كلنا في كل ليلة الى درجة أننا لم نكن نستطيع انتظار اللحم حتى ينضج . كنت أستطيع أن آكل خمسـة أرطال من لحم الثيران كل ليلة " .

قـال بِلِي : " إنها الحـركـة . لقـد كـان أبي مكاريـاً حكومـياً . وبدأت أساعده منذ أن كنت فتى يافعاً . كان بإمكاننا نحن الإثنان

فقط أن نأكل فخذَ غزال حينذاك " .
قـال الجـد : " لقد عرفت أباك يا بِلي . كان رجلاً رائعاً . كانوا يـدعـونه ذيل البـغل بَكْ . لم أعـرف السبب ، إلاّ أنه كـان يحمّل البغال " .
قـال بِلي مـوافـقـاً على كـلامـه : " كان ذلك هو السبب . كان يحمّل البغال " .
وضع الجـد سكينه وشـوكـته على الطاولة وأجال نظره فيمن يحيط بـه . " أذكـر ذات مـرة أنـه لم يـبـق لدينا لحم - " سـقط صـوته مـتـحـولاً الى رتابة خـافـتة غريبة ، سقط متحولاً الى نَغَم رتيب فيما كـانت القـصـة تقترب من نهايتـها . " لم يكن هناك ثيران ولا أيائل ولا حـتى أرانب . لم يستطع الصيادون حتى اصطياد ذئـب قيوط . في وقت كذلك يصبح لزاماً على القائد أن يتخذ الحيطة . كنت أنا القـائد وكنت أبقي عـينيّ مـفـتـوحتين . تعرفون لماذا ؟ حسناً ، في الدقـيـقـة التي يبدأ الناس يجوعـــون فيها ، يبدأون بذبح ثيران جر العربات . أتصدقون ذلك ؟ لقد سمعت عن مفارز عسكرية أكلت كل قطيع ثيران الجـر لديها . بادئين من الوسط عـاملين ذبحـاً نحـو الأطـراف . أخـيراً يأكلون زوج ثيران القـيـادة ، ثم ينهـون خـيـول العجلات . يجب أن يمنعهم قائد المفرزة من فعل ذلك " .
بطريقـة مـا ، دخلت فراشة كبيرة الغرفة ، فدارت حول مصباح الكيروسين المعلق . نهض بِلي واقـفـاً وحـاول سـحـقـها بين يديه . ضرب كـارل براحـة يده المتـخـذة شكل كـوب وأمسك بالفراشة ثم قتلها . سار نحو النافذة وأسقطها في الخارج .
بدأ الجـد ثانيـة : " كما كنت أقول . . . " لكن كارل قاطعه : " يحسن أن تأكل المزيد من اللحـم . بقـيـتنـا مـستعدون لتناول فطيرتنا " .
رأى جـودي وميض غـضب في عـيني أمـه . التقط الجد سكينه وشـوكـتـه . قـال : " أنا جـائع جداً ، حقاً . سأخبركم عن ذلك فيما بعد " .

حين انتهي العشاء ، وبعد أن جلست الأسرة وبِلي أمام المدفأة في الغرفة الأخرى ، راقب جودي الجد بقلق . رأى العلامات التي يعرفها . الرأس الملتحي وقد مال الى الأمام ، والعينان وقد فقدتا صرامتهما ونظرتا متسائلتين في النار ، والأصابع الكبيرة الهزيلة وقد تشابكت على ركبتيه السوداوين . بدأ : " أتساءل ، أتساءل فقط إنْ كنت قد أخبرتكم كيف ساق أؤلئك الـ بايوتيس Piutes اللصوص خمسة وثلاثين حصاناً من خيولنا وفروا بها " .

قاطعه كارل : " أظن أنك أخبرتنا بذلك . ألم يكن ذلك قبل أن تذهبِ الى منطقة تاهو ؟ "

التفتَ الجد الى صهره بسرعة : " هذا صحيح . أظن أنني رويت لكم تلك القصة " .

قال كارل بقسوة : " عدةَ مرات " ، وتحاشى عينيّ زوجته . لكنه أحس بالعينين الغاضبتين تحطان عليه ، قال : " طبعاً أنا أحب سماعها مرة أخرى " .

عاود الجد النظر الى النار . إنفكت أصابعه وتشابكت مرة أخرى . عرف جودي ما يحس به ، كيف انهارت أحشاؤه وأفرِغَت . ألم يدعى جودي بالبنطال الكبير بعد ظهر ذلك اليوم نفسه ؟ ارتفع جودي متسلقاً نحو البطولة وفتح نفسه على تعبير البنطال الكبير ثانية . قال برقة : " قص علينا قصة الهنود " .

كست الصرامة عيني الجد ثانية : " الأولاد يرغبون دائماً في أن يسمعوا قصة الهنود . كانت عمل رجال ، لكن الأولاد يرغبون في أن يسمعوا عنها . حسناً ، لنرِ . ألم أخبركم كيف أنني أردت أن تحمل كل عربة لوح حديد طويلاً ؟ "

بقي الكل صامتاً ما عدا جودي . قال جودي : " لا . لم تخبرنا " .

- " حسناً ، حين كان الهنود يهاجموننا ، كنا نصف العربات دائماً على شكل دائرة ونقاتل من بين العجلات . وفكرت إنه لو حملت كل عربة لوحاً حديدياً طويلاً فيه ثقوب للبنادق ، لأمكن

للرجـال نصب الألواح خـارج العـجلات حين تكوّن العربات دائرة تحـمـيـهم . تنقـذ حـياة الرجال فيعوض هذا ثقل الحديـد الزائد . لكن المفـرزة لم تفـعل هذا طبعاً . لم تفعل هذا أية مفرزة أخرى من قـبـل ، فـهـم لم يـروا أية جـدوى من دفع هذه التكاليف . لكنهم عاشوا ليعضوا أصابعهم ندماً بعد ذلك .

نظر جـودي الى أمـه ، فـعـرف من تعـابير وجـهـها بأنها لم تكن تصـغي إطلاقـاً . عـمل كـارل على إزالة جسأة في إبهامه وراقب بِلي بَكْ عنكبـوتاً يزحف صاعداً على الحائط .

سـقطت نبرة صـوت الجـد متحولة الى سرد رتيب ثانية . عــرف جـودي مقدماً أية كلمات ستسقط من فيه . تواصلت القصة رتيبة ، تسـارعت نحـو الهجـوم ، أصـبـحت حزينة على الجرحى ، صارت ترنيـمـة جنائزية على الدَفْن في السـهـول الفـسيحة . جلس جودي بهدوء مـراقـبـاً الجـد . كانت العينان الزرقاوان الصارمتان ذاهلتين . بدا هو نفسه كأنه غير مهتم كثيراً بالقصة .

حين اكـتـمَلَت القـصـة ، حين احترم الكــل السكوت كـحـدّ للقـصـة ، نهض بِلي بَكْ واقفاً وتمطّى وربط بنطاله . قال : " أظن أنني سأذهب الى غـرفـتي " . ثم واجـه الجد : " لديّ قرن بارود ومـسدس كبسولةٍ وكرةٍ في مرقد العمال . هل أريتك إياها ؟ "

أومـأ الجـد بـبـطء : " نـعـم ، أظن هذا يا بِلي . يذكـرني هذا بمـسدس كان لديّ حين كنت أقود الشعب في العبور " . وقف بِلي مـتأدباً حـتى انتـهت القـصـة ، ثم قـال : " تصبح على خير " . وخرج من البيت .

حـاول كـارل تِفـلِن أن يحـول مجرى الحـديث عندئذ . " كـيف الحال في المنطقة من هنا الى مونتيري ؟ سمعـت أنها جافة تماماً " .

قال الجد : " إنها جافة . ليس في لاجونـا سيكـا Laguna Seca قطرة مـاء . لكن الحال أفضل كثيراً ممـا كان في سنـة ١٨٨٧ . فقد كانت المنطقة كلهـا غباراً حينذاك ، وفي ١٨٦١ أظن أن كل ذئاب القـيـوط مـاتت جـوعـاً . هطلـت خمس عشرة بوصـة مطر في هذه

السنة " .

- " لكنه مطر سقط في وقت أبكر من اللازم . قد ندبر أمورنا ببعضه الآن " .

وقعت عينا كارل على جودي . " ألا يحسن بك أن تأوي الى الفراش ؟ "

وقف جودي بإذعان . " هل يمكنني قتل الفئران في كومة التبن القديمة يا سيدي ؟ "

- " فئران ؟ أوه ، بالتأكيد ، أقتلها كلها . قال بِلي بأنه لم يبقَ تبن جيد " .

تبادل جودي مع الجد نظرة سرية وراضية . وعد : " سأقتل كل فأر منها غداً " .

استلقى جودي في فراشه وفكر في عالم الهنود والثيران البرية المستحيل ، عالم كف عن الوجود والى الأبد . تمنى لو عاش في زمن البطولة ، لكنه يعرف أنه ليس مخلوقاً من مادة بطولية . ليس أي من الأحياء الآن ، ربما باستثناء بِلي بَكْ ، كفؤاً لتنفيذ الأعمال التي نفذت في السابق . فقد عاش جنس من العمالقة حينذاك ، رجال لا يخافون ، رجال ذوو بأس ليس لهم وجود في هذه الأيام . فكر جودي بالسهول الفسيحة والعربات تعبرها كأنها حشرات أم أربع وأربعين . فكر بالجد على صهوة جواد أبيض هائل ، ضاماً الشعب في صفوف متراصة . في ذهنه سارت الأشباح العظيمة في مِشية عسكرية ، وتابعت سيرها العسكري مبتعدةً عن الأرض ثم اختفت .

ثم عاد الى المزرعة للحظة . سمع صوتَ الاندفاع البطيء الذي يثيره الفراغ والسكون . سمع أحد الكلبين ، في الخارج في وجاره ، حاكاً برغوثاً وخابطاً مرفقه على الأرضية مع كل حركة من يده . ثم عصفت الريح ثانية وأنّت شجرة السرو السوداء واستغرق جودي في النوم .

نهض قبل نصف ساعة من قرع المثلث للإفطار . كانت أمه

تقرقع في الفرن لتجعل اللهب يهدر حين دخل جودي المطبخ . قالت له : " نهضتَ مبكراً . أين ستذهب ؟ "

– " اِلى الخارج لصنع عصا جيدة . سنقتل الفئران اليوم " .

– " مَن " نحن " ؟ "

– " آه ، جدي وأنا " .

– " هكذا أدخلتَه في الموضوع . أنت تحب دائماً أن تدخل معك شخصاً في أي موضوع ليشاركك في حالة ما إذا وقع لوم " .

قال جودي : " سأعود حالاً . أريد فقط عصا جيدة جاهزة للعمل بعد الإفطار " .

أغلق الستارة وراءه وخرج مواجهاً الصباح الأزرق النديّ . كانت الطيور تضج في الفجر وهبطت قطط المزرعة من التل كأفاعي بليدة . لقد ظلت تصيد جوافر في الظلام ، ومع أن القطط الأربع كانت مكتظة بلحم الجوافر ، إلاّ أنها جلست مكونة نصف دائرة عند الباب الخلفي وماءت على نحو يثير الرثاء مطالبةً بالحليب . مضى دِبْل تري مَطْ وسماشِر متشممين حافة الأجمة ، مؤدين واجبهما باحتفال صارم ، لكن رأسيهما ارتفعا مهتزين وذيليهما لوحا حينما صفر جودي لهما . اندفعا هابطين نحوه ، مموجين جلديهما ومتثائبين . ربت جودي على رأسيهما بجدية ، وانتقل متقدماً الى كومة الخردة المعرضة لتقلبات الطقس . اختار مقبض مكنسة وقطعة خشب زاوية خردة . أخرج من جيبه رباط حذاء وربط طرفي العصوين ربطاً رخياً معاً ليكون منهما مذراة . لوح بسلاحه الجديد في الهواء وضرب به الأرض ليجربه ، بينما قفز الكلبان جانباً وأنّا مرتعبين .

استدار جودي وانطلق ماراً بالبيت نحو الأرض التي تستقر فيها كومة التبن القديمة ليشرف على ميدان المذبحة ، لكن بِلي بَكْ ، الجالس على الدرجات الخلفية بهدوء ، نادى عليه . " يحسن أن تعود . دقائق معدودة فقط بقيت على الإفطار " .

غير جودي خط سيره واتجه نحو البيت . أسند المذراة على

الدرجات . قال : " هذه لدفع الفئران على الخروج . أنا متأكد من أنها سمينة . أنا متأكد من أنها لا تعرف ما سيحدث لها اليوم " .

ألقى بِلي ملاحظة متفلسفاً : " لا ، ولا أنتَ تعرف . ولا أنا ولا أي شخص آخر " .

تمايل جودي من وقع هذه الفكرة . إنه يعرف أنها صحيحة . انطلق خياله بعيداً عن صيد الفئران . عندئذ خرجت أمه الى شرفة المدخل الخلفي وقرعت المثلث ، فسقطت كل الأفكار كومةً هامدة .

لم يحضر الجد الى الطاولة حين جلسوا . أومأ بِلي الى الكرسي الخالي : " هو في صحة جيدة ؟ هو ليس مريضاً ؟ "

قالت السيدة تِفلِن : " يستغرق وقتاً طويلاً في ارتداء ملابسه . إنه يمشط شعر عارضيه وينظف حذاءه وملابسه بالفرشاة " .

نثر كارل السكر على طبق عصيدة الذرة أمامه . " على رجل قاد قطار عرباتٍ عبر السهول أن يكون مفرط العناية في ارتداء ملابسه " .

التفتت السيدة تِفلِن إليه : " لا تفعل ذلك يا كارل ! رجاءً ، لا تفعل ذلك ! " كان في نبرة صوتها تهديد أكثر مما فيه رجاء . وأغاظ التهديد كارل .

- " حسناً ، كم مرة يجب أن أسمع قصة الألواح الحديدية ، والخمسة والثلاثين حصاناً ؟ لقد ولى ذلك الزمان . لماذا لا ينساه ، إنه انتهى الآن ؟ "

إزداد غضبه وهو يتكلم ، وارتفع صوته : " لماذا يروي القصة مراراً وتكراراً ؟ لقد عبر السهول . حسناً ! انتهى هذا الآن . لا أحد يريد أن يسمع القصة مراراً وتكراراً " .

انغلق الباب المؤدي الى المطبخ بلطف . جلس الأربعة حول الطاولة جامدين . وضع كارل ملعقة عصيدته على الطاولة ولمس ذقنه بأصابعه .

ثم انفتح باب المطبخ ودخل الجد . ابتسم فمه بتوتر وكانت عيناه نصف مغمضتين . قال : " صباح الخير " . جلس ونظر الى طبق عصيدته .

لم يترك كارل الأمر عند هذا الحد . " هل - هل سمعتَ ما قلته ؟ "

هز الجد رأسه مومئاً إيماءة خفيفة .

- " لا أعرف ما الذي أثارني يا سيدي . لم أعنِ ما قلته . كنت أمزح فقط " .

نظر جودي الى أمه وهو يحس بالخزي ، فرأى أنها كانت تنظر الى كارل ، وأنها لم تكن تتنفس . كان فعلاً مروعاً ما كان يفعله . كان يمزق نفسه إرباً لكي يقول هذا . كان أمراً رهيباً بالنسبة إليه أن يسحب أية كلمة قالها ، لكن سحبها ، وهو يحس بالخزي ، كان أسوأ الى حد لانهائي .

ألقى الجدّ نظرة جانبية . قال بلطف : " أنا أحاول وضع الأمور في نصابها . أنا لست غاضباً ، لا يهمني ما قلتَه ، لكن ما قلتَه قد يكون صحيحاً ، وهذا ما يهمني " .

قال كارل : " ليس هذا صحيحاً . لست في مزاج رائق هذا الصباح . أنا آسف على ما قلته " .

- " لا تأسف يا كارل . الرجل العجوز لا يرى الأمور على حقيقتها أحياناً . قد تكون أنتَ على حق . لقد انتهى العبور . ربما كان يجب أن ينسى بعد أن انتهى الآن " .

نهض كارل واقفاً وابتعد عن الطاولة : " شبعت . سأذهب الى العمل . خذ راحتك يا بِلي ! " خرج من غرفة الطعام بسرعة . ازدرد بِلي باقي طعامه وتبعه بعد وقت قصير . لكن جودي لم يستطع ترك كرسيه .

سأل جودي : " ألن تروي أية قصص أخرى ؟ "

- " لم لا ؟ من المؤكد أنني سأرويها ، لكن ، سأرويها فقط حين - حين أتأكد من أن الناس يرغبون في سماعها " .

– " أنا أحب أن أسمعها يا سيدي " .

– " أوه ، طبعاً أنتَ تحب أن تسمعها ، فأنتَ ولد صغير . كان عمل رجال ، لكن الأولاد الصغار فقط يحبون أن يسمعوا عنه " .

نهض جودي واقفاً من مكانه . " سأنتظرك في الخارج يا سيدي . لقد صنعت عصا جيدة لتلك الفئران " .

انتظر قرب البوابة الى أن خرج الجد الى شرفة المدخل . صاح جودي : " لنذهب ونقتل الفئران الآن " .

– " أظن أنني سأجلس في الشمس فقط يا جودي ، أنتَ الذي سيقتل الفئران " .

– " يمكنك أن تستعمل عصاي إنْ أردت " .

– " لا ، سأجلس هنا لوهلة فقط " .

أشاح جودي بوجهه بعيداً وهو مغتم ، ومشي متجهاً نحو كومة التبن وحاول شحذ حماسه بالتفكير بالفئران الريانة السمينة . ضرب الأرض بمذراته . لاطفاه الكلبان وأنّا وهما يدوران حوله ، لكنه لم يستطع بدء العمل . ورأى الجد في البيت خلفَه يجلس في شرفة المدخل ، وقد بدا ضئيلاً نحيلاً وأسود .

تخلى جودي عن صيد الفئران وذهب ليجلس عند قدمي الرجل العجوز .

– " عدتَ سريعاً ؟ أقتلتَ فئراناً ؟ "

– " لا يا سيدي ، سأقتلها في يوم آخر " .

أزّ ذباب الصباح قرب الأرض اندفع النمل متنقلاً من مكان الى آخر أمام الدرجات . وانزلقت رائحة المريمية هابطة التل . سخنت ألواح شرفة المدخل تحت أشعة الشمس .

لم يعرف جودي متى بدأ الجد يتكلم . " يجب ألاّ أبقى هنا وأنا أحس بما أحس به " .

تفحص يديه العجوزتين القويتين . " أشعر كأن العبور لم يكن جديراً بعناء القيام به " . تجولت عيناه صاعدة منحدر التل وحطتا

على صقر ساكن جاثم على غصن ميت . " أنا أروي تلكم القصص القديمة ، لكنها ليست هي التي أريد أن أرويها . أنا أعرف فقط ما أريد أن يحس الناس به حين أروي هذه القصص لهم " .

ليس الهنود مَنْ كانوا مهمين ، ولا المغامرات ، ولا حتى الوصول الى هنا . كان المهم أن جماعة من الناس كونت وحشاً كبيراً زاحفاً . وكنت أنا الرأس . كانت تغرب وتغرب . وكل رجل منهم أراد شيئاً خاصاً به ، لكن الوحش الكبير الذي كان مجموعهم كلهم أراد أن يغرّب فقط . كنت القائد ، لكنني لو لم أكن هناك ، لكان هناك شخص آخر على رأسهم . فلا بد أن يكون للشيء رأس .

تحت الشجيرات الصغيرة ، كانت الظلال سوداء في منتصف النهار الأبيض . حينما رأينا الجبال أخيراً ، صحنا كلنا - كلنا . لكن لم يكن الوصول الى هنا هو المهم ، كانت الحركة والتغريب .

لقد حملنا الحياةَ ونقلناها الى هنا وأنشأناها بالطريقة التي يحمل بها ذلك النمل بيضاً . وكنت أنا القائد . كان التغريب كبيراً كإله ، وتجمعت الخطوات البطيئة التي كونت الحركة فوق بعضها البعض الى أن عَبرَت القارة .

ثم وصلنا الى البحر ، وانتهت الرحلة " . كفّ عن الكلام ومسح عينيه الى أن أصبحت حوافهما حمراء . " ذلك ما كان يجب أن أرويه بدلاً من القصص " .

حين تكلم جودي ، جَفَل الجد ونظر الى أسفل إليه . قال جودي : " ربما سأتمكن من قيادة الشعب في أحد الأيام " .

ابتسم الرجل العجوز . " لا يوجد مكان تذهب اليه . هناك المحيط سيوقفك . هناك على طول الشاطىء صف من رجال عجائز يكرهون المحيط لإنه أوقفهم " .

- " في قوارب ، قد أتمكن من هذا يا سيدي " .

- " لا يوجد مكان تذهب اليه يا جودي . لقد احتل كل

مـكان . لكن هذا ليس أسـوأ مـا في الأمـر - لا ، ليس الأسـوأ . لقـد مـات التـغـريب في نفـوس الناس واخـتفى . لم يعد التغريب جوعاً . لقد انتهى كل هذا . إن أباك على حق . لقـد انتهى " .

شـبك أصابعه على ركبتيه ونظر إليها .

أحـس جـودي بـالحـزن الـشـديـد . " إنْ رغـبـــتَ في كـأس ليمونادة ، فأنا أستطيع أن أعده لك " .

كـاد الجِـد أن يرفض ، ثم رأى وجـه جودي . قال : "سيكون هذا حـسناً . نعم ، سيكون حسناً شرب ليمونادة" .

جـرى جـودي الى المطبخ حـيث كـانت أمـه تمسح آخـر أطبـاق الإفطار . " أتسمحين لي بليمونة لإعداد ليمونادة لجدي ؟ "

قلدته أمـه ساخرة . " وليمونة أخرى لإعداد ليمونادة لك" .

- " لا يا سيدتي ، لا أريد ليمونادة لي " .

- " جودي ! أنتَ مريض ! " ثم سكتت فـجأة . قـالـت بـلـطـف : " أخـرِج لـيـمـونـة مــن البراد . هاك ، سأحضر لك العصّارة " .

من أعمال شتاينبك

قصص وروايات

كوب من ذهب   مراعي السماء   الى إله مجهول
شقة تورتِلا   في معركة سجال   فئران ورجال
المهر الأحمر*   الوادي الطويل *   كروم الغضب
القمر آفل   شارع معامل التعليب
الحافلة الجامحة   اللؤلؤة *   تاجج
شرقي عدن   يوم خميس حلو   شتاء سخطنا
حكم بِبن الرابع القصير

أعمال غير قصصية

بحر الـ كورتز : يوميات رحلات وبحث (بالتعاون مع إدوارد ف . رِكِتس)
القنابل بعيداً : قَصة فريق قاذفات
يوميات روسية : (مع صور روبرت كابا)
السجل من بحر كورتز   حربٌ نشبت ذات مرة
رحلات مع تشارلي في البحث عن أمريكا
أمريكا وأمريكيون
يوميات رواية : رسائل رواية شرقي عدن

مسرحيات

فئران ورجال   القمر آفل

أعمال أخرى

القرية المنسية (وثائقية)
فيفا زاباتا (مخطوطة سينمائية)

* صدرت عن دار النسر

يسر دار النسر للنشر والتوزيع أن تقدم الى العالم العربي الأعمال الكاملة / شبه الكاملة لكبار كتاب الأدب العالمي : رواية ، مسرح ، قصة ، نقد أدبي ... الخ بترجمة سمير عزت نصار وإشرافه ومراجعته بالتعاون مع كبار المترجمين العرب من اللغة الانجليزية والفرنسية والالمانية ... الخ

وتضم هذه القائمة أعمال - إيرنست همنجواي ، وليم فوكنر ، وليم جولدِنج ، سومرست موم ، إرسكين كالدويل جراهام جرين ، جيمس جويس ، ألان روب جرييه ، جون شتاينبِك ، توماس مان ، ألبرتومورافيا ، آيريس ميردوك ماركيز ، برناردشو ، تشيخوف ، إبسن ، سترندبيرج ، كونديرا ، بِكيت ، هارولد بنتر ، أنوي ، وعشرات غيرهم .

إضافة الى الأعمال شبه الكاملة / مختارات لكبار الكتاب الكلاسيكيين ضمن سلسة كلاسيكيات : تشارلز دِكنز ، جورج إليوت ، دانييل ديفو ، روبرت لويس ستيفنسن ، الأخوات برونتي ، جول فيرن ، هوجو ، موباسان ، فلوبير ، بلزاك ، إميل زولا وعشرات غيرهم .

كما يسر دار النسر نشر أعمال كبار كتّاب الرواية والقصص الشرطيّة بترجمة جديدة كاملة لا تعتمد على التلخيص بل تتوخى دقة الترجمة والاقتراب من النص الأصلي قدر ما يتاح هذا للمترجم ؛ مما يرتفع بهذه الأعمال الى المستوى الأدبي في هذا النوع من الأدب . وعلى رأس هذه الأعمال تبدأ الدار بنشر أعمال أجاثا كرِستي التي بيعت أكثر من مليار / بليون نسخة من أعمالها بلغتها الأصلية ومليار أخرى مترجمة الى عشرات اللغات الأخرى في جميع أنحاء العالم .

صدر عن دارالنسر للنشر والتوزيع

إسم المؤلف	إسم الكتاب
جراهام جرين	* الخاسر ينال كل شيء
	* الرجل الثالث والمعبود الساقط (ط٢)
	* دكتور فيشير من جنيف (حفلة القنبلة)
	* مسدس للبيع
	* الوكيل السري
	* رجلنا في هافانا
	* الرجل العاشر
	* وزارة الخوف
	* صخرة برايتون
الان روب جرييه	* غيرة (ط٢)
	* في المتاهة
سومرست موم	* في الدارة فوق التل
	* النقاب الملون
	* القمر وستة بنسات
	* مسرح
	* كاتالينا
	* عطلة عيد الميلاد
	* الركن الضيق
وليم فوكنر	* رجل عجوز (ط٢)
(نوبل ٤٩)	* وأنا أحتضر
	* النخيل البري
	* اللامقهورون
وليم جولدنج	* لورد الذباب (ط٢)
(نوبل ٨٣)	* الورثة (ط٢)
	* الإله العقرب (ثلاث روايات قصيرة)
	* الهرم
	* سقوط حر

إسم المؤلف	إسم الكتاب
جون شتاينبك (نوبل ٦٢)	* اللؤلؤة (ط٢)
	* المهر الأحمر (ط٢)
	* الوادي الطويل
	* مراعي السماء
	* الحافلة الجامحة
	* كروم الغضب
	* فئران ورجال
إرسكين كالدويل	* كلوديل
	* يد الله الاكيدة
	* إضطراب في يوليو
	* مصباح لهبوط الليل
	* مكان يدعى إسترفيل
	* جريتا
إيرنست همنجواي (نوبل ١٩٥٤)	* حياة فرانسيس ماكومبرِ القصيرة السعيدة
	* رجال بلا نساء
	* في زماننا
	* أن تملك وألاّ تملك (ط٢)
	* الشمس تشرق أيضاً (المهرجان)
	* تلال أفريقيا الخضراء
كنوت هامسون (نوبل ١٩٢٠)	* الجوع
ألبرتو مورافيا	* الحب الزوجي
	* الزوجة الجامحة
	* صوت البحر
هـ . ج . وِلز	* آلة الزمن وبلاد العميان
	* حرب العوالم
	* الرجل الخفي
	* جزيرة الدكتور مورو

إسم المؤلف	إسم الكتاب
أحاثا كرِستي	* موعد مع الموت
	* سجل قضايا هرقل بوارو
	* جريمة قتل نائمة
	* جريمة قِتل روجر آكرويد
	* السيدة مَك جِنتي ماتت
	* ستــارة : قضِية بوارو الأخيرة
سيبريان إكوينسي	* العشب المحترق
جابرييل جارسيا ماركيز	* ايريندِيرا البريئة
تشينوا تشيبي	* أشياء تتداعى
هنريك إبسن	* السيدة القادمة من البحر (مسرحية)
	* بيت دمية (مسرحية)
	* أعمدة المجتمع (مسرحية)
جان أنوي	* أنتـيجونا (مسرحية)
جورج برناردشو	* الانسـان والأسـلحة (مسرحية)
أوجست ستريندبيرج	* الآنسـة جوليا (مسرحية)
أنطون تشيخوف	* بستان الكرز (مسرحية)
عدة كتّاب قصصيين	* الزوجة المثالية
سمير عزت محمد نصار	* فـارس الاميرة السـمراء (رواية)
	* تموجات مهيبة (قصص) (ط٢)
	* قال الطائر الذبيح لا (قصص)
	* عريس فدوى (مسرحية)
	* أسرة الظلام (قصص)
	* أوديب ٤٨ (مسرحية)
يوسف أبو ليل	* سادة السحر الأسود (السي آي ايه)
ولتر ب . رستون	* أفـول السـيادة (ثورة الإتصالات وأثرها على تغيير العالم)
تحرير : إدوار سي . بانفيلد	* السلوك الحـضاري والمواطنة
د . أفنان القاسم	* شارع الغاردنز
	* باريس
	* أربعون يوماً بانتظار الرئيس

المهر الأحمر

١٩٣٠ ـ ١٩٣٥



للسيرة الذاتية في كتابة الكثير من الروائيين تأثير لا بد أن يظهر في أعمال كثيرة لهم ؛ فالأديب ينطلق من حياته الخاصة : اسرته . بيئته . أصدقائه . معارفه . تجاربه . أشخاص من الجنسين أقام علاقات معهم أو شاهدهم عن قربٍ أو بعد . وقد يكون المؤلف هو الشخصية الرئيسية في هذه الأعمال وكلما تمكن الكاتب من إخفاء معالم حياته في أعماله . كلما عمق عمله واقترب من الموضوعية : فيصبح العمل تجارب عامة لأبناء وطنه وابناء العالم قاطبة . وكثير من الكتاب عالجوا السيرة الذاتية كل بطريقته الخاصة . لكن الأغلبية الساحقة منهم ساروا على خطى الحياة اليومية . فتابعوا شخصية أبطال أعمالهم . الذين يمثلونهم تمثيلاً يتراوح بين الاقتراب والابتعاد عن تفاصيل حياتهم منذ البداية حتى النهاية . وخير مثال على هذا النمط الكلاسيكي من الأعمال رواية تشارلز دكنز الشهيرة : دافيد كوبرفيلد . حيث نتابع فيها دافيد منذ طفولته حتىَ زواجه واستقراره في عالمنا اليومي ومواجهته أحداثاً عديدة بعد ذلك .

لكن فوكنر تناول هذا الصنف من الأدب في روايته : اللامقهورون بطريقة تختلف اختلافاً جذرياً عن طريقة تشارلز دكنز ؛ فقد عرض فوكنر سبعه مقاطع من حياة سارتورس بدءاً بصباه ومواجهته لقوات الغزو الشماليين / اليانكيين هو وصديقه الزنجي رنجو حتى فترة نضجه وبلوغه سن الرشد اثناء حياته الجامعية ومواجهته لقاتل أبيه . وكذلك الحال مع جودي تفلن في رواية المهر الأحمر لـ جون شتاينبك . فهي تقدم عرضاً لتاريخ حياته في أربعة مقاطع منفصلة هي فترات حاسمه من حياة هذه الشخصة . بدءاً بأيام جودي في المدرسة وخطواته الأولى في عالم الفروسية حتى بلوغه فروسية الرجال أو رجولة الفرسان في المقطع الرابع والأخير . وعلى القارىء أن يسد الفجوات بين هذه المقاطع بخلقه الأجواء المطلوبة : فتكتمل الصورة لديه .

دار النسر للنشر والتوزيع / عمان ـ
هاتف/فاكس ٦٥٩٤٦٠
ص.ب ٩١٠٥٨٦ عمان ١١١٩١ الأر